التراث الأرثوذكسي

ISSN 1814-7038

السنة الثامنة عشرة، العدد الخامس، شباط ٢٠٢٢

مختارات آبائية

القديس نيكولا فيليميروفيتش، أفكار تمهيدية من افتتاحية كتاب "وجع الكنيسة"

صلاة للمصابين بالسرطان

القدّيس تيخون الذي من موسكو، الفرق بين النظام النباتيّ والصوم المسيحيّ

حياة روحية

الأرشمندريت جورج كابسانيس، ما هو ذِكر الموت وما الذي يعنيه بالنسبة لنا؟

المتروبوليت أثناسيوس مطران ليماسول، سلام الله كنزٌ عظيم

الأرشمندريت بطرس، الوقت، فرصتنا العظيمة

الأب تريفون، علم النفس والعلاج الأرثوذكسي

لاهوت

إيريني أرتامي وخريستوس تارازيس، اللاهوت الصوفي في المسيحية الشرقية

عظة

الأب أنطوان ملكي، العشار الفريسي

أفكار تمهيدية من افتتاحية كتاب "وجع الكنيسة"

القديس نيكولا فيليميروفيتش

نقلته إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

إذا لم يكن للكنائس أي فضيلة سوى أنها حفظت المسيح كخزينة للعالم، فهي تتبرر بذلك. حتى لو كان ما كررته خلال القرون الماضية هو "يا رب! يا رب!" وحسب، فهي تقوم فوق العالم الدهري. على الأقل هي تعرف مَن هو الرب، بينما العالم لا يعرف.

قد تختفي "الكنائس"، لكن الكنيسة لن تختفي أبدًا. لأن عمل المسيح ليس "الكنائس" بل الكنيسة. علاوة على ذلك، إذا اختفت الكنيسة كمؤسسة، فلا يمكن أن يختفي جوهر الكنيسة. إنه مثل الأنهار والبحر والماء: عندما تختفي الأنهار في البحر ، يبقى البحر ، وإذا اختفى البحر في البخار ، يبقى الماء.

لو أن المسيح قصد في يوم من الأيام تشكيل الكنيسة كمؤسسة، فيكون قد قصد أن يشكلها لا كغاية بل كوسيلة، كمثل قارب لجلب ركابه بأمان عبر محيط الحياة العاصف إلى مرفأ ملكوته الهادئ.

كمثل الجسد في الحمّام، هكذا النفس تتعرى في الكنيسة لتغتسل. ولكن بمجرد أن نخرج، نلبس أرواحنا لإخفائها عن العين الفضوليّة. أليس من غير المنطقي أن نتجرأ على إظهار عيوبنا إلى الأكثر كمالًا، بينما نخجل من إظهارها لمن هم غير كاملين وقبيحين وغير طاهرين مثلنا؟ الكنيسة، مثل الحمّام، تكشف معظم القذارة.

إن فكرة الكنيسة الأولية والأكثر وضوحًا هي جمع الخطيئة والخلاص. فالصلاة منفردة ومن أجل النفس أشبه بالأكل على انفراد دون اعتبار لجوع الآخرين.

عندما ترى الشمسُ رجلَ العلم أو الثروة أو السياسة، راكعًا في الصلاة مع الفقراء والمتواضعين، فإنها تذهب إلى راحتها مبتسمة.

لا تكمن القيمة الحقيقية لأي جماعة مسيحية في رخائها هي، بل في اهتمامها بإزهاء الجماعات المسيحية الأخرى. لذا، على سبيل المثال، تكمن قيمة البروتستانت في اهتمامهم بالكاثوليك بمحبة، والعكس صحيح.

باتباع المعيار المذكور أعلاه، نجد أن كل الجماعات المسيحية تكاد تكون بلا قيمة من جهة الروح، أي في ما يتعلق برعايتها المُحبَّة غير العادية. إن قيمتها الفعلية مادية أكثر منها روحية، لأنها تقتصر على العناية بنفسها. أما الاستثناءات فهي منعشة مثل واحة في الصحراء.

الكنيسة والدولة مثل النار والماء. ما السبيل لاتصالهما؟ ففي حالة الاتصال، تموت النار دائمًا تحت الماء.

في محاولتنا توحيد الكنيسة والدولة، نحاول توحيد ما فصله الله منذ بداية عصرنا.

إن فصل الكنيسة عن الدولة لا يعني، كما يعتقد الكثيرون، فصل الروح عن الجسد؛ بل هو يعني الفصل بين روحين متعارضين تمامًا غير مألوفَين ومعاديين لبعضهما البعض....

لقد نجحت دودة الراحة والجمود البشري في التوفيق بين المسيحية والحكومات العلمانية الوثنية، مما أدى إلى شل الحركة الأكثر إلهية في تاريخ البشرية. اذهب إلى أسفل كل تلك الدعوات الذكية إلى وحدة الكنيسة والدولة، وسوف تجد أن محركها الأساسي هو دودة الراحة والجمود البشري.

ليست المسيحية ملكية ولا جمهورية. إنها لا تهتم بالمؤسسات بل بالروح الذي يعيش فيها. المؤسسة الأفضل هي التي تمتلئ بروح المسيحية. من وجهة النظر هذه، قد تكون الأوتوقراطية أفضل من الجمهورية أو العكس.

لقد كانت المسيحية الحقيقية مختفية عنا حيث كما كان الحديد والفحم مختفيَين عن رجال العصر الحجري. لقد مشوا على الحديد والفحم لكنهم استخدموا الحجر والخشب فقط. كذلك نحن نسير فوق المسيح وحوله، فيما لا نزال نتّكل في حياتنا اليومية على الآلهة الوثنية القديمة.

يقول البعض: اقرأ الكتاب المقدس! أكاد أقول: لا تلمسه لخمس سنوات، واقرأ أدباً آخراً خلال هذه الفترة، ثم عد واقرأ الإنجيل مرة أخرى، وسترى عظمته الحقيقية وقوته وحلاوته.

معنى الإفخارستيّا ليس الذكرى فقط بل هو نبوءة أيضًا. النبوءة هي أن الأرض كلها ستصبح جسد المسيح، لحمه ودمه، حتى مهما أكلنا وشربنا نكون نأكله ونشربه هو.

يجب أن يكون هو طعامنا اليومي. أن نرى إلى كل طعامنا من خلال المسيح، فهو لن يظهر يمظهر الفريسة من الطبيعة بل بالأحرى يكون تضحية الطبيعة من أجلنا، فتذكّرنا بتضحية المسيح، ومن خلالها نتذكّر دعوتنا إلى التضحية.

عليك أن تختار بين أن تكون فخورًا أو فقيرًا في الروح. الأول يعني تدميرًا صاخبًا، والثاني يعني البناء الهادئ.

لا نكشف عن قيمتنا الحقيقية أبدًا باستخدام حقوقنا بل من خلال قدرتنا على الخدمة والتضحية.

أن يحصل الرجل على حقوقه أسهل من أن يفقد كبريائه.

ما من شيء سامٍ ولا لئيم في العالم كله إلا وجدت له تمثيلًا في نفسي، كما لم أجد شيئاً كنت فيه ممثلاً بالكلية.

إن أغنى وأقوى الناس، الذين نميل إلى أن نُعجب بهم ونقتدي بهم، هم أكثر مَن يشفق عليهم المسيح. اليوم، كما هو الحال دائمًا، أصعب المهمات المسيحية هي تلك التي بين الأغنياء.

التضحية بدون تذمر تحوّل حياتنا العاصفة إلى يوم مقدس هادئ. نحن نملأ كل أيامنا بكلام عن أناس يكرهون التضحية أو عن غيرهم الذين يجسرون عليها. الاشمئزاز والإعجاب هما حمامان تستحم فيهما قلوبنا من شروق الشمس إلى غروبها. لا شيء يثير الاشمئزاز من شخص ما كسماعه يقول إنه غير قادر على التضحية. وإذا توجّهت هذه الجملة إلينا نشعر وكأننا قد خسرنا معركة الحياة بأكملها.

قيمة النُظُم الماورائية أنها للعلم أكثر منها لتقدم البشرية الأخلاقي. يمكنك بناء علم جديد على هيجل، أما على الرسول بولس وحده فيمكنك بناء حياة اجتماعية جديدة وسياسة عالمية جديدة. هل فكرت يومًا أن القديس بولس هو أعظم أنبياء الفطنة السياسية المرجوة؟

كل الإمبراطوريات التي قامت على أساس الحقوق قد هلكت أو لا بدّ أن تهلك. المستقبل هو لإمبراطورية القديس بولس، الإمبراطورية التي تأسست على خدمة المحبة.

إن صالبي المسيح الحقيقيين في عصرنا هم أولئك الذين يعتقدون أن إنجيل المسيح لا يمكن أن يؤخذ كأساس للسياسة العالمية. ألم تكن آخر كلماته للتلاميذ: اذهبوا إلى كل الأمم؟ إن التعبير الأخير والأسمى للمسيحية سوف يكون في العلاقات بين الأمم، لأن تعبيرها الأول كان العلاقات بين الأفراد من الناس. ما بين الأفراد كان المدرسة الابتدائية للمسيحية. لذا ما بين الأمم هو جامعتها.

أصل الأرستقراطية غامض كمثل ظلام الليلة الماضية. قد يكون الأرستقراطي العظيم في يومنا هذا من أصحاب أتعس الأرواح، فيما المتسول عند بابه من النبلاء. لكن احترموا كلاهما على قدم المساواة لعلمكم أن كلَيهما من نفس الأصل الملكي. الله الفائق السمو يسمي كلَيهما أولاده.

الأخلاق المسيحية، أي الخدمة والتضحية البهِجة، هي أسمى نتائج الإيمان الحقيقي بالله. من خطٍ يربط كوكبنا بمركز الكون أكثر قُصراً من الخط الذي يمر عبر المسيح. إنه أقصر الطرق، كما أن الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين هندسيتين.

العبودية تعني الخدمة الإلزامية؛ لذا الحرية تعني الخدمة الطوعية. الرجل أو الأمة المتربيان على الخدمة الطوعية لجيرانهما هما حقًا رجل حر أو أمة حرة. كل نظريات الحرية الأخرى هي أوهام. الحرية التي تطالب بالحقوق وليس بالخدمة الطوعية تعني تنابذاً لا نهاية له يتوج جميع أبطاله بالتعاسة. لم تكن جمهورية بريكليس ولا النظام أوكتافيوس الملكي دولتين للسعادة، إنما دولة القديس بولس لكل البشر، بوثيقة عظمى (ماجنا كارتا) واحدة للخدمة الطوعية، سوف تكون دولة الهناء العالمي.

كل إنسان هو ساحة معركة للعديد من الأرواح النجسة، التي تكون جريئة جدًا في غياب المسيح وخجولة جدًا في حضوره. كم من هذه الأرواح التي تجد فينا مسكنًا سهلاً، تجعل حتى الخنازير تغضب وتجري على الجرف الشديد الانحدار إلى البحر!

هناك مفهوم يقول بأن عقلية ميكافيللي وميترنيخ وبسمارك وبيكونزفيلد يمكن أن تؤخذ كأساس للسياسة، في حين أن ذلك غير ممكن لعقلية المسيح. هذا المفهوم يتبنّاه حتى العديد من اللاهوتيين. ومع ذلك، فإن المسيح، دون كل هؤلاء السياسيين، بقي كقوة لا تموت، لأنه ببساطة الأصلح منهم جميعًا.

نظرت إلى الناس وهم يصلّون ففكرت: هوذا الملائكة الساقطون! نظرت إليهم وهم يتشاجرون ببغضٍ ففكرت: هوذا الشياطين القائمون!

الحيوانات قاسية ولكنها ليست مبتذلة. ومع ذلك، فإن الإنسان يفوقهما في القسوة والابتذال. إذا أُجبرنا على اختيار احد الشرّين، يجب أن نفضّل القسوة على الابتذال.

كل أيامنا هذه تفسدها ذكريات الأمس وهموم الغد. وبالتالي فإننا ننزع الفردية عن أيامنا الحاضرة ونفرغها ونحطّها حتى تصير مكان اجتماع ضبابي للأمس والغد.

من وجهة النظر المادية، فإن أعظم شيء في هذه الحياة هو سرها. من وجهة النظر الأخلاقية، فإن أعظم شيء في الإنسان هو التفسير المتفائل لهذا السر. ما من تفاؤل عاقل خارج المسيحية.

لا يمكن لأي إنسان أن يكون طاغية ما لم يكن عبداً لبعض العيوب الأخلاقية.

لا يمكن لأمة أن تطغى على أمة أخرى ما لم تكن بعض الأوهام تستبد بها من قبل.

لا أحد في العالم حرّ إلا الذي يشعر بأنه أسير المسيح. هكذا سمّى نفسَه أعظمُ نصير للحرية في تاريخ البشرية: "بولس، أسير يسوع المسيح".

Source: The Agony of The Church. By The Rev. Nicholai Velimirovic, D.D. of St Savva's College, Belgrade. Student Christian Movement. Printed in Great Britain by Turnbull & Spears, Edinburgh. 1917

صلاة للمصابين بالسرطان

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

تمتّع القديس برثانيوس أسقف لمبساكا بفضيلة وتقوى عظيمتين، فوهبه الله أن يجري معجزات عديدة منها علاج جميع أنواع الأمراض. كان القديس وديعاً، صبوراً، مضيافاً، طويل الأناة، يشجع التائبين ويعاني مع الذين يعانون من كل مرض عضال. لهذا، من الصدف أن اليوم العالمي للسرطان هو في الرابع من شباط فيما عيده في السابع من الشهر نفسه. القديس برثانيوس هو شفيع الذين يعانون من السرطان. طبعاً كل القديسين يتشفعون حيث يسمح الرب، لكن بعض القديسين تكثر استجاباتهم في حالات محددة.

الصلاة التالية هي لأجل الذين يعانون من السرطان وهي موجهة إلى الرب يسوع وفي ختامها يرِد طلب شفاعة القديس برثانيوس. هذه الصلاة أقرّها مجمع كنيسة اليونان.

أيها الرب يسوع المسيح إلهنا، يا مَن ينتهر أرواح المرض ويغدق الصحة على الذين يدعونك بشوق القلبِ والإيمان بك، استمعْ لنا نحن الخطأة، الغارقين في حزن عميق وألم على آبائنا وإخوتنا وأولادنا، لموتهم الذي لم نستطِع تجنّبه، ومع أنه يدعونا جميعًا، إلا أنهم اختُطفوا من بيننا بقوة سوط السرطان الرهيب، بعد مرض مؤلم ووقت قصير.

يا رب، بروحك المنير والمقدّس أرشدْ الذين يسعون بدراسات العلم الطبي لإبادة شرِّه، واكشفْ لهم الدواء وطريقة الشفاء، وامنحْ المتألمين القوةَ والصبرَ والراحةَ في آلامهم، مكافئاً إياهم جميعًا بشفاء أرواحهم وأجسادهم، بشفاعات الفائقة البركات سيدتنا والدة الإله العذراء مريم، الينبوع المفيض الحياة، الذي سكب مياهه في ملكة المدن على الذين كانوا مرضى بالسرطان فتوقفت معاناتهم، وبشفاعات أبينا القديس بارثينيوس أسقف لامبساكا المجيد والصانع العجائب، والعادم الفضة الشهيد العظيم المجيد الشافي بندلايمون وجميع قديسيك. آمين.

Source: Άγιος Παρθένιος επίσκοπος Λαμψάκου, προστάτις των καρκινοπαθών (Ευχή για τους καρκινοπαθείς). Pemptousia. 7/2/2022. https://www.pemptousia.gr/2022/02/agios-parthenios-episkopos-lampsakou-prostatis-ton-karkinopathon/

الفرق بين النظام النباتيّ والصوم المسيحيّ

القدّيس تيخون الذي من موسكو

نقلتها إلى العربية الخورية جولي عطية عيسى

لطالما تعرّض الصوم المسيحيّ، وبأشكالٍ عديدة، للتهجُّم والنقد من قبل أشخاصٍ "جسدانيّين". وقد صارت هذه التهجّمات أشرس في وقتٍ يسلك فيه الناس بحسب الجسد ويهتمّون بإرضائه. في أوقاتٍ كهذه، حيث الجسد سائدٌ والروح ضعيف، صارت الأصوات المدافعة عن الصوم نادرةً وخجولة. فمن المسرّ أن نسمع صوتًا يدافع عن الصوم، آتٍ في أيّامنا من العالم الدهريّ الذي لا يتناغم في معظم الأحيان مع عالم الكنيسة الروحيّ. نحن نتحدّث عن التيّار النباتيّ، الذي نسعد به إذا كان النباتيّون أنفسهم لن يسمحوا بحصول عددٍ من العيوب والأخطاء.

يُقصد بالتيّار النباتيّ تلك الحركة في المجتمع الحديث التي تسمح بأكل الأطعمة ذات المصدر النباتيّ، ولا تسمح باللحوم أو السمك[١] (من هنا يأتي اسم النباتيّة – وباللاتينيّة Vegetare أي أن ينمو).

يدافع النباتيّون عن تعليمهم مستندين إلى الحجج الآتية:

- من وجهة نظر علم التشريح: ينتمي الإنسان إلى فئة العواشب، وليس إلى آكلات اللحوم والأعشاب، ولا إلى آكلات اللحوم.
- من وجهة نظر الكيمياء العضويّة: تحتوي الأغذية النباتيّة على جميع العناصر الغذائيّة الضروريّة، ويمكنها أن تدعم قوّة الإنسان وصحّته تمامًا مثل الأطعمة المختلطة، أي اللحوم والخضروات.
- من وجهة نظر علم وظائف الأعضاء (Physiology): يجري امتصاص الأطعمة النباتيّة بسهولةٍ أكبر من اللحوم.
- من وجهة نظر الطبّ: تسبّب اللحوم التهابًا في جسد الإنسان وتُقصّر عمره، بينما يحفظ الغذاء النباتيّ جسده ويطيل عمره.
- من وجهة نظر الاقتصاد: الأغذية النباتيّة أقلّ كلفةً من اللحوم.
- ولدينا أخيرًا الجانب الأخلاقيّ: يتعارض قتل الحيوانات مع الحسّ الأخلاقيّ لدى الإنسان، في حين أنّ النباتيّة تجلب السلام إلى العالم وإلى حياة الإنسان وإلى علاقته بالحيوانات.

جرى التعبير عن بعض هذه الأسباب في العالم الوثنيّ في العصر القديم (على يد بيثاغوراس وأفلاطون وساكيا موني (بوذا)). ثمّ غالبًا ما تكرّرت في العالم المسيحيّ، ولكنّ الذين كرّروها كانوا أشخاصًا محدّدين لم يكوّنوا المجتمع كلّه. فقط خلال منتصف القرن التاسع عشر في إنكلترا، ولاحقًا في بلدانٍ أخرى، ظهرت مجتمعاتٌ كاملةٌ تتبع النظام النباتيّ. ومنذئذٍ، بدأت التيّارات النباتيّة تنمو،

ويمكنكم أن تجدوا أتباعها أكثر وأكثر، وهم ينشرون آراءهم بحماسٍ ويسعون لتنفيذها. في أوروبا الغربيّة، ثمّة العديد من المطاعم النباتيّة (يوجد نحو ٣٠ مطعمًا في لندن وحدها)، حيث يحضَّر الطعام من النبات حصرًا. وقد نُشرت كتب طبخٍ تتكلّم على المطبخ النباتيّ، تُعرض فيها أنظمةُ الأكل النباتيّة مع وصفاتِ تحضير أكثر من ٨٠٠ طبق. في روسيا، لدينا أيضًا أتباعٌ للنظام النباتيّ، من بينهم الكاتب الشهير ليو تولستوي.

للنظام النباتيّ مستقبلٌ عظيمٌ محتمل[٢]، لأنّ البشريّة، كما يقولون، ستَصِلُ إليه في النهاية، سواء أرادت ذلك أم لا. هناك بالفعل شحٌّ ملحوظٌ في الماشية في بعض الدول الأوروبيّة، وفي آسيا ما عادت موجودةً تقريبًا، بخاصَّةٍ في البلدان ذات الكثافة السكانيّة العالية، مثل الصين واليابان. لذلك، لن يكون هناك المزيد من الماشية في المستقبل؛ إذًا لن يكون هناك لحوم. وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ النباتيّة تقدّم من خلال أتباعها خدمة، وهي ابتكار طرائق لإعداد الأطعمة، وإدخال طريقة حياةٍ ينبغي لجميع الناس اعتمادها عاجلاً أم آجلاً. وإلى جانب هذه الخدمة التي فيها إشكاليّة، ففي النباتيّة حسَنةٌ لا شكّ فيها، وهي مخاطبة عصرنا المُدلَّل والمحبّ للمتعة بدعوةٍ ملحّةٍ إلى الاعتدال.

يقول تولستوي: "ألقوا نظرةً على حياتنا، على ما يحفّز غالبيّة الناس في عالمنا. اسألوا أنفسكم ما هي المصلحة الرئيسة للأغلبيّة؟ قد يبدو لنا غريبًا، نحن الذين اعتدنا إخفاء اهتماماتنا الحقيقيّة وإظهار تلك الخاطئة والمصطنعة، أنّ الاهتمام الرئيس لغالبيّة الناس في عصرنا هو متعة الطعام وإرضاء الذوق. بدءًا بالفقراء ووصولاً إلى أغنى الطبقات في المجتمع، الشراهة هي باعتقادي الهدف الرئيس والمتعة الرئيسة في حياتنا. العامل الفقير هو الاستثناء، فقط بالدرجة التي يمنعه فيها فقره من الانغماس في هذا الشغف. فما إن يملك ما يكفي من الوقت والوسائل، سيُحاكي الطبقات العليا، ويُحضر لنفسه ألذَّ الأطعمة وأحلاها... ثمّ انظروا إلى حياة المتعلّمين، واستمعوا إلى محادثاتهم. يبدون مشغولين تمامًا بالموضوعات السامية التالية: الفلسفة والعلم والفنّ والشعر، فضلاً عن توزيع الثروة، ورفاهيّة الناس، وتعليم الشباب. لكن بالنسبة إلى أغلبيّةٍ كبيرة، هذا كلّه كذبة. فبين قيامهم بتلك الأمور، كلّهم يقومون بالعمل الفعليّ - الإفطار والغداء، حتّى تمتلئ المعدة ولا يعود بوسعهم أن يتناولوا المزيد. إنّ الاهتمام الحيّ والحقيقيّ للأغلبيّة هو الطعام. كيف نأكل، ماذا نأكل، متى وأين. لا يحدث احتفالٌ أو فرحٌ أو افتتاحٌ، أيًّا كان نوعه، من دون طعام. يتظاهر الناس بأنّ العشاء أو الطعام هو مسألةٌ لا تعنيهم، لكنّ هذا كذب. فقط حاولوا استبدال الأطباق الفاخرة التي يتوقّعونها، لن أقول الخبز والماء، بالعصيدة والمعكرونة، وسترون العاصفة التي ستثيرونها. بات من الواضح أنّه حين يجتمع هؤلاء الأشخاص، فاهتمامهم الأساسيّ ليس ما يحاولون تقديمه، بل هو الطعام".[٣]

بالطبع، هذا الوصف للمجتمع الحديث فيه نوعٌ من المبالغة، ولكن فيه أيضًا قدرٌ كبيرٌ من الحقيقة. لذلك، فإنّ دعوة النباتيّين الملحّة إلى الاعتدال، وإلى حدّ المرء من رغباته، هي أمرٌ مناسبٌ جدًّا. وإذا اقتصروا على هذه الدعوة، فلا يسعنا إلّا أن نفرح بالنموّ الناجح للتيّار النباتيّ. إلّا أنّ النجاح في كثيرٍ من الأحيان يجعل الرأس يدور وينفخ الإنسان. وهذا ما يحدث مع أتباع النظام النباتيّ: فهُم ينسبون إليه ما لا يوجد فيه، وما لا يمكنه أن يمتلكه. يعتقد النباتيّون أنّه لو كان الناس لا يأكلون اللحوم، لكان النعيم التامّ قد سيطر على العالم منذ فترةٍ طويلة. حتّى أفلاطون الذي أعطانا مثالًا حول كيفيّة التفكير بذكاءٍ بالأفكار وغيرها من الأمور السامية، اتّخذ قرارات غير منطقيّة في مجالات الحياة الحكوميّة والاجتماعيّة، في حواره "حول الجمهورية"، قائلًا إنّ أصل الظلم ومصدر الحروب والشرور الأخرى يتمثّل في أنّ الناس لا يكتفون بأسلوب عيشٍ بسيط وبالأطعمة النباتيّة النيئة، بل يتناولون اللحوم.[٤] وفي كتابات مدافعٍ آخر عن النباتيّة، ولكنّه هذه المرّة مسيحيٌّ من أتباع تجديد المعموديّة وهو توماس تريون (١٧٠٣)، نجده يقول: "إذا توقّف الناس عن قتالهم، عن القمع وما يمكّنهم من ذلك وما يشجّعهم على ذلك -عن قتل الحيوانات واستخدام دمائهم ولحومهم كغذاء– فبعد مدّةٍ وجيزة، سيضعف قتلهم لبعض وخلافاتهم الشيطانيّة والقسوة في ما بينهم، وربّما ستختفي هذه كلّها تمامًا... حينئذٍ سيتوقّف البغض، ولن يُسمع بعد الآن أنين الناس أو الحيوانات المثير للشفقة. ثمّ لن تعود موجودةً أنهارُ الدم المتدفّقة من الذبائح، أو رائحة أسواق اللحوم، أو الجزّارون الملطّخون بالدماء، أو رعد المدافع، أو حرق المدن. ستختفي السجون ذات الرائحة الكريهة، وستختفي البوّابات الحديديّة التي يقبع خلفها الرجال بعيدًا عن زوجاتهم وأطفالهم، وسينتشر الهواء النقيّ، ولن نسمع صرخات أولئك الذين يستجدون الطعام أو الملابس. لن تعود المتاعب موجودة، ولا الاختراعات الماكرة التي تدمّر في يومٍ واحدٍ ما ابتكره الآلاف من الناس بجهدٍ كبير، ولا الشتم الرهيب، ولا الكلام الفظّ. لن يكون هناك تعذيبٌ غير ضروريّ للحيوانات التي لديها أعمالٌ تفوق قدرتها، ولا إفسادٌ للعذارى. لن يكون هناك تأجيرٌ للأراضي والمزارع بأسعارٍ باهظةٍ تُجبر المستأجر على إرهاق نفسه وخدَمه وحيواناته تقريبًا حتّى الموت، ومع ذلك يظلُّ قابعًا في ديونٍ غير مدفوعة. لن يكون هناك اضطهادٌ ممَّن هم فوق نحو الأدنى منهم؛ لا حاجة لذلك بسبب غياب الرفاهيّة والشراهة. سيتوقّف أنين الجرحى. لن تكون هناك حاجةٌ للمسعفين لإزالة الرصاص من الجثث، وبتر الذراعَين والساقَين المشوَّهة أو المكسورة. سيتوقّف الصراخ والأنين من مرض النقرس أو الأمراض الأخرى (مثل الجذام أو السل)، فضلًا عن أمراض الشيخوخة. وسيتوقّف الأطفال عن أن يكونوا ضحايا لآلامٍ لا حصر لها، وسيكونون بصحّةٍ جيّدةٍ مثل الحملان أو العجول أو صغار الحيوانات الأخرى التي لن تعرف المرض".[٥]

انظروا الصورة الجذّابة التي يرسمها النباتيّون، ومدى سهولة تحقيق ذلك كلّه: علينا فقط أن نتوقّف عن أكل اللحوم، وستكون جنّةٌ حقيقيّةٌ على الأرض، حياةٌ خاليةٌ من المتاعب والأحزان.

إلّا أنّنا نشكُّ جدّيًا في جدوى أحلام النباتيّين الملوَّنة بألوان قوس قزح. على الرغم من أنّهم يدّعون أنّ "نظامهم يضرب جذور الشرّ ويَعِدُ بفوائد ليست طوباويّة"،[٦] فإنّ الأرض لن تصبح فردوسًا أو ملكوت الله بمجرّد توقّف الناس عن أكل اللحوم، لأنّ ملكوت الله، بحسب كلمات الرسول بولس الحكيمة، ليس طعامًا وشرابًا، بل هو برٌّ وسلامٌ وفرحٌ في الروح القدس (رومية ١٤: ١٧). لطالما ابتعدت التعاليم المسيحيّة عن روح أحلام اليقظة. وهي تختلف عن النظريّات الطوباوية المتنوّعة، من حيث أنّها تميّز بوضوحٍ الفرق بين المثاليّة والواقع. وبينما توجّه التعاليم المسيحيّة تطلُّعات البشر نحو الهدف الموجود في ما هو مثاليّ، فإنّها في الوقت نفسه لا تغفل مطلقًا عن الواقع. وفي هذا الواقع، من المستحيل تحقيق السعادة المثاليّة. فالرغبة والألم والمعارك ستسمّم دائمًا حياة الإنسان على الأرض؛ سيكونون زملاؤنا المسافرون معنا في الحالة الراهنة، لأنّ أسباب هذه المظاهر المؤسفة ليست خارجيّة، وليست عرضيّة وعابرة، بل عميقة وداخليّة، تتعلّق بالحالة الخاطئة للطبيعة البشريّة التي أفسدتها الخطيئة. ما دامت هذه الحالة مستمرّة في الطبيعة البشريّة، وما دامت الظروف الشاذّة في حياتنا لم تتغيّر من الجذور، وما دمنا لم نستعد علاقتنا الصحيحة بالله وبأنفسنا وبالعالم الخارجي؛ أي ما دامت الحياة الحاضرة لم تتحوّل إلى الحياة الجديدة الأبديّة، ولم تنكشف للبشر السماءُ الجديدة والأرضُ الجديدة التي يسكن فيها البرّ (راجع ٢ بطرس ٣: ١٣) - حتّى ذلك الحين، سيكون دائمًا عوزٌ وفقرٌ وأحزانٌ ومرض. وبما أنّ جذور هذه المشكلات كلّها هي أعمق بكثير مما يتخيّله النباتيّون والحالمون الآخرون مثلهم، فلا يمكن للوسائل التي يقدّمونها أن تعالج الشرّ - فهي صغيرةٌ جدًّا وسطحيّةٌ وغير مهمّةٍ لذلك.

من الصحيح أنّ الامتناع عن تناول الطعام بعامّة، وأيضًا عن اللحوم، يساعد في كبح أهوائنا وشهواتنا الجسديّة، ويمنح نفسنا خفّةً عظيمة، ويساعد على تحريرها من سيادة الجسد وإخضاعها لسيادة الروح. ولكن سيكون من الخطأ أن نعتبر الصوم الجسديّ أساسَ الأخلاق، وأن نزيل منه جميع صفاته الأخلاقيّة الرفيعة، وأن نفكّر مع النباتيّين بأنّ "الأطعمة النباتيّة في حدّ ذاتها تجلب الكثير من الفضائل".[٧] إنّ الناسك التقيّ القدّيس يوحنّا كاسيانوس، الذي نعرف طبعًا أنّه لا يحتقر الصوم، والذي، بحسب القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم، كان الملائكة أنفسهم يبتهجون به عندما كانوا يرون ما يأكل، قال بعكس النباتيّين وأحلامهم: "نحن لا نضع رجاءنا في الصوم (الجسديّ) وحده. فهو ليس خيرًا ولا ضرورةً في حدّ ذاته. إنّه مفيدٌ لاكتساب نقاوة القلب والجسد، فبإماتة شوكة الجسد يكتسب الإنسان سلامَ النفس. ولكنّ الصوم يصبح خطيرًا على الروح أحيانًا إذا تمّ الالتزام به في غير وقته

المناسب. وعلينا أن نجتهد حتّى نكتسب، بواسطة الصوم، الفضائل التي تبني الصلاح الحقيقيّ، لا أن نُعمل الفضائل في الصوم فقط. وهكذا، فإنّ فائدة تطويع الجسد والصوم الذي يشفي، هي اكتسابنا المحبّة بواسطته، المحبّة التي تنبع صلاحًا دائمًا وثابتًا".[٨]

هذا يعني أنّ صوم الجسد هو مجرّد وسيلةٍ ومساعدٍ على اكتساب فضائل الطهارة والعفّة، وعليه أن يكون متّحدًا بالصوم الروحيّ - الامتناع عن الأهواء والرذائل، والابتعاد عن الأفكار والأفعال السيّئة. فمن دون ذلك، لا يكفي الصوم للخلاص. لن نضع قائمةً بالكتابات الآبائيّة حول ذلك، لأنّه من الصعب "احتواء ما لا يمكن احتواؤه" - فجميع الآباء والنسّاك يتّفقون في تعاليمهم على أنّ الصوم الحقيقيّ يحدث عندما يمتنع الشخص عن الشرّ. سنستشهد، بدلاً من ذلك، بقصّةٍ مميّزة للقدّيس مكاريوس الكبير. قال له المجرّب نفسه ذات مرّة: "لا أستطيع أن أتغلّب عليك يا مكاريوس. كلّ ما تفعله، أفعله أيضًا. أنت تصوم، وأنا لا آكل مطلقًا. أنت تسهر، وأنا لا أنام. لديك شيءٌ واحدٌ فقط يغلبني". "ما هو؟"، سأله مكاريوس. أجابه الشيطان: "التواضع"، هذا هو السبب في أنّني لا أستطيع أن أغلبك".[٩] من هذا نرى أنّه يجب علينا ألّا نعلّق آمالنا كلّها على صوم الجسد.

اعتبر النسّاك الأتقياء أنّ صيام الجسد وحده غير كافٍ للخلاص، كما أنّهم لم يفرضوا صومهم على الجميع (كما يفعل النباتيُّون في كثيرٍ من الأحيان)؛ لأنّه كما قال القديس نيلوس من سورا: "من المستحيل إخضاع الكائنات البشريّة كلّها لقاعدةٍ واحدة: الأجسام المختلفة لها قوى مختلفة، مثل النُّحاس والحديد مقارنةً بالشمع".[١٠] فبينما كانوا يبشّرون فقط بالاعتدال في الطعام والشراب، وكانوا يمتنعون عن اللحوم، لم يمنعوا الآخرين عن أكل اللحوم بين حينٍ وآخر. كانوا يقولون: "يجب أن نشارك الجميع لمجد الله"، غير واضعين جانبًا أيَّ شيء، كما يفعل الهراطقة الذين يرفضون على نحوٍ غير منطقيّ ما خلقه الله حسنًا جدًّا. علينا أن نأكل جميع الأطعمة التي لدينا، حتّى تلك الحلوة، بكميّاتٍ صغيرة. هذا هو منطق الحكماء – فنحن لا نختار أنواعًا معيّنة من الأطعمة ونرفض أخرى، لكي نشكر الله ونحفظ نفوسنا من الغرور. وهكذا نتجنّب الكبرياء ولا نستهين بما خلقه الله خيرًا"[١١]. هؤلاء الذين يحصرون أنفسهم في مادّة الطعام والشراب، تاركين "العقل" على الهامش، هم أناسٌ وصفهم الآباء بـ"فاقدي التمييز". هؤلاء الأشخاص غير المميِّزين يتحمّسون للصوم ولأعمال القدّيسين بمنطقٍ ونوايا خاطئة، ويعتقدون أنّهم يجتازون اختبار الفضيلة. في هذه الأثناء، يراقبهم الشيطان كالفريسة، ويلقي فيهم بذرة التفاخر بأنفسهم. ومنها يولد الفرّيسيّ الداخليّ فيهم وينمو، فيجعلهم يستسلمون للكبرياء الكامل. لأنّه ليس هناك ما يثير الكبرياء بسهولةٍ كالضمير والعقل الذي يعرف مزايا الشخص العديدة، ويعيش متّكلاً عليها"[١٢]. يتوجّه الأب إيسيذوروس إلى هذا النوع من الأشخاص قائلًا: "لا تفتخر إذا كنتَ تجاهد نسكيًّا. وإذا أصبحتَ مغرورًا بسبب ذلك، فمن الأفضل لك أن تأكل

اللحوم، لأنّ أكل اللحوم ليس ضارًا مثل الافتخار بالنفس والازدراء بالآخرين". حتّى إنّ آباء مجمع غنغرا فرزوا أولئك "الذين يدينون مَن يأكل اللحوم باحترامٍ وإيمان (باستثناء الدم وذبائح الأوثان)".

هذه هي نظرة الكنيسة المقدّسة في ما يتعلّق بأكل اللحوم، وهي بالفعل نظرةٌ حكيمةٌ. في قوانينها، وبعكس النباتيّين الحالمين، تعرف الكنيسة أنّها لا تتعاطى مع أشخاصٍ مجرّدين أو بلا هوى أو بلا جسد، بل مع كائناتٍ بشريّةٍ حيّةٍ تحمل جسدًا، أشخاصٍ لديهم احتياجاتهم ومتطلّباتهم ونقاط ضعفهم. تتعامل معهم الكنيسة، على غرار مؤسّسها الإلهيّ، بقدرٍ كبير من العطف والرحمة. لدينا أمثلةٌ عن نسّاكٍ عظماء ورجالٍ قدّيسين –هم أفضل المعبّرين عن وجهات النظر الكنسيّة، وهم "يعرفون ضعف الإنسان"– لم ينتقدوا أولئك الذين كانوا يأكلون "طعامًا غير مناسب" في أثناء الصوم ، وليس ذلك فحسب، بل كانوا يأكلون هم أيضًا "القليل" من هذا الطعام.

فالقدّيس تيخون من زادونسك، لمّا كان معتزلاً في دير زادونسك، زار مرّةً يوم الجمعة من الأسبوع السادس من الصوم الكبير، الراهب بالإسكيم الأب ميتروفانيس. كان عند هذا الأخير ضيفٌ يُدعى قوزما ستودينيكين، وهو من إيليتز، وقد أحبّه القدّيس لحياته التقيّة. حدث في ذلك اليوم أنّ صيّادًا كان يعرفه الأب ميتروفانيس، أحضر له سمكة شبّوطٍ من أجل أحد الشعانين. وبما أنّ الضيف لم يكن سيبقى في الدير حتّى أحد الشعانين، فقد طبخ الأب سمك الشبّوط في ذلك اليوم مع الحساء. وجد القدّيس تيخون الأب ميتروفانيس وضيفَه يأكلان. فارتعب الأب من هذه الزيارة غير المتوقّعة، إذ عدّ نفسه مذنبًا لأنّه خالف الصيام، وسقط عند قدَمي القدّيس تيخون طالبًا منه المغفرة. ولكنّ هذا الأخير، إذ كان يعلم أيّة حياةٍ صارمةٍ كان يعيشها صديقاه، قال لهما: "اجلسا، أنا أعرفكما؛ المحبّة أعظم من الصيام". وجلس هو نفسه إلى الطاولة، وأكل بضع ملاعق من حساء السمك، وسكبه لهما. ذُهل صديقاه من هذا العطف واللطف. فهُما كانا يعلمان أنّ رئيس الكهنة القدّيس تيخون من زادونسك لم يكن يتناول حتّى الزيت، في أيّام الاثنين والأربعاء والجمعة، فما بالك بالسمك[١٣].

وثمّة قصّةٌ أخرى عن أحد النسّاك الأتقياء الذي تمجّدَ بموهبة عمل المعجزات، حتّى في حياته، وهو القدّيس سبيريدون القبرصيّ. تروي القصّة كيف جاء شخصٌ مسافرٌ إليه في بداية الصوم الكبير، عندما كان القدّيس وأفراد أسرته يحافظون، وفقًا للعادة، على صومٍ صارمٍ جدًّا، ويتناولون الطعام فقط في أيامٍ معيّنة، فلا يأكلون شيئًا في الأيّام الأخرى. ولما رأى القدّيس سبيريدون المسافرَ تعبًا جدًّا، طلب من ابنته أن تقدّم له شيئًا يأكله. أجابته أنّه لا خبز ودقيق لديهم، إذ لا يوجد سببٌ للاحتفاظ بهما في الصوم. فصلّى القدّيس واستغفر، وطلب من ابنته أن تقلي بعض لحم الخنزير المملّح الموجود في المنزل. وبعد تحضيرها إيّاه، أجلس القدّيس سبيريدون المسافرَ بجانبه، وبدأ يأكل اللحم ويقنع ضيفه

بأن يفعل الشيء نفسه. عندما رفض هذا الأخير واصفًا نفسه بالمسيحيّ، قال له القدّيس: "ولكن لا داعي لأن ترفض لأنّ كلمة الله تقول: 'كلُّ شيءٍ طاهرٌ للطاهرين' (تيطس ١: ١٥)".[١٤]

لا نعرف إذا كان النباتيّون يعلمون بهذه الحوادث، أو كيف سيَرونها. قد يبدو هؤلاء الرجال القدّيسون "ضعفاء" من وجهة نظرٍ نباتيّة. إلّا أنّ بولس الرسول، في رسالته إلى أهل رومية (١٤:ـ ٢)، حيث كانت تجري نقاشاتٌ حول ما إذا كان يجب أكل اللحوم أو الخضار، يدعو بالضعفاء أولئك الذين يعتبرون أنّه لا يجوز للمسيحيّين سوى أكل الخضار - والذين يرون أنّ أكل اللحوم أمرٌ غير أخلاقيّ وإجراميّ (كما يراه النباتيّون في أيّامنا).

بالفعل، شخصٌ مثل هؤلاء هو مسيحيٌّ ضعيف - مستعدّ، على حدّ قول بولس الرسول، إلى العودة "إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تُستعبدوا لها من جديد" (غلاطية ٤:ـ ٩). يعتقد هذا الشخص أنّ الطعام في حدّ ذاته يمكن أن يقرّبنا إلى الله (١ كو ٨:ـ ٨)، وكأنّ ملكوت الله طعامٌ وشرابٌ وليس برًّا وسلامًا وفرحًا في الروح القدس (راجع رومية ١٤:ـ ١٧)؛ ينسى أنّ "كلّ شيءٍ طاهر" (رومية ١٤:ـ ٢٠)ـ ، وأنّ "كلّ خليقة الله جيّدة، ولا يُرفض شيءٌ إذا أُخذ مع الشكر" (١ تي ٤: ٤). لذلك، ليس من المستنكر أكل اللحوم في تلك الأيّام التي تسمح به فيها الكنيسة المقدَّسة. عندما أتى الجنس البشريّ إلى الوجود، أمرَ الله الإنسان أن يأكل البذور والفواكه (تكوين ١:ـ ٢٩). ولكن عندما أضرَّ الإنسان طبيعته بالخطيئة، وجلبَ اللعنة على الأرض، تبيَّن أنَّ الأطعمة النباتيّة غير كافيةٍ للجنس البشريّ. ونعلم من الكتاب المقدّس أنّه بعد الطوفان، أعطى الله للناس الحيوانات والطيور والأسماك، كطعامٍ يأكلونه مع الأعشاب الخضراء (تكوين ٩:ـ ٣). وهذا يعني أنّ استخدام اللحوم سمح به الله نفسه[١٥]. فهو إذًا لا يحتوي على أيّ تناقضٍ أو لا أخلاقيّة.

بحسب قول النباتيّين، عندما يقتل الإنسان الحيوانات من أجل الطعام، هو ينتهك مبادئ العدل والرحمة بالحيوانات. إنّه يحرمهم من الحياة التي لم يمنحها الإنسان لهم، ويسبّب لهم مثل هذه المعاناة الرهيبة، حتّى إنّ الأشخاص المعتادين رؤيتها يُصابون هم أيضًا بالغثيان عندما يرون العذاب الذي تعانيه الحيوانات. في كتابات بعض النباتيّين،[١٦] نجد صفحاتٍ كاملة مكرّسةً للوصف التصويريّ للعذاب القاسي الذي يُلحقه الإنسان بالحيوانات – ذلك الإنسان "الشَّرِه المحبّ للمتعة" و"النَّهِم الذي لا يشبع" و"الجلّاد الشرّير". الرحمة هي بالطبع شعورٌ موقّرٌ جدًّا، ولكن فقط إذا كان يحمل طابعًا رصينًا وصحيًّا، لا طابعًا كاذبًا وعاطفيًّا. تجد سيّداتٍ يُغمى عليهنَّ عند إنجاب كلبة، ولا يبالين بدموع الإنسان. من الذي يعتبر شعورَ الرحمة هذا صحيًّا وصحيحًا؟ أو مَن يوافق مع الهندوس الذين أقاموا مستشفيات للدجاج والحمام، بينما يسمحون في الوقت نفسه لآلاف [من الطبقات الدنيا] بالموت في

أثناء فترات الجفاف، لأنّهم لا يسمحون لهم باستخدام المياه من آبار الطبقات العليا. إنّهم ينمّون محبَّة الحيوانات والتعاطف معها على حساب الناس، ويضرّون بهؤلاء.

إنّ النباتيّين يبتهجون بديانة الهندوس بسبب "مبادئهم السامية الداعية إلى الرحمة بالحيوانات"، ولكنّ ديانتهم فيها عدم كفاية، ما هو موجودٌ أيضًا لدى النباتيّين. لقد "تجاوزوا الحدود" في دفاعهم عن حقوق الحيوانات. يقول الكثير[١٧] منهم إنّ "الحيوانات هي تمامًا مثل الإنسان في المعنى الجسديّ والأخلاقيّ"، ومثل الإنسان تمامًا، "لديها العقل والمشاعر الأخلاقيّة"، وأحيانًا "بدرجةٍ أكبر"، لديها "الفهم والمشاعر والقدرات نفسها".[١٨] "الحيوانات هي من فئة البشر نفسها"،" لها الحقوق نفسها في الحياة"، "هم إخواننا"، وبالتالي فإنّ قتلهم هو" قتل الإخوة".[١٩]

ولكن إذ يفكّر النباتيّون على هذا النحو، يعلنون أنفسهم دعاةً للمادّية التي لا ترى أيَّ فرقٍ جوهريّ بين الإنسان والحيوان. لقد فقدت المادّية منذ زمنٍ طويلٍ مصداقيّتها في نظر العالم العلميّ. لا يوجد عالِمٌ واحدٌ جدّيٌّ ونزيهٌ يحاول الإصرار على أنّ عالم الحيوانات الداخليّ هو مثل عالم الإنسان الداخليّ.[٢٠] إنّ هذه الميول المادّية تلحق ضررًا كبيرًا بنقاء التعاليم النباتيّة، ولا يسعنا إلا أن نأسف لأنّ النباتيّين، بدلاً من التبشير بأفكارهم بالتعاون مع الكنيسة المقدَّسة وبروح تعاليم المسيح، يفضّلون استخلاص آرائهم من آبار التعاليم الباطلة، تلك الآبار المظلمة.

[١] فقط بعض النباتيّين يسمحون بالحليب والبيض في نظامهم الغذائيّ.

[٢] على سبيل المثال، الأستاذ بيكيتوف في كتيّبه "النظام الغذائي والإنسان"، وفي قاموس Brockhaus and Ephron الموسوعي، العدد ٥: ٦٩١.

[٣] "الخطوة الأولى" في مقدّمة "أخلاقيات الغذاء"، XXI-XXIII.

[٤] ويليامز، أخلاقيات الغذاء، ٢٧.

[٥] المرجع نفسه. ١٣٨ ، ١٤٠.

[٦] المرجع نفسه. ٢٨٠.

[٧] أخلاقيات الطعام، ٢١٥.

[٨] الحياة الرهبانية بحسب أقوال النسّاك، الطبعة الأولى ، ٧٧-٧٨ [بالروسي].

[٩] المرجع نفسه ، ١٠١.

[١٠] المرجع نفسه ٦٨.

[١١] المرجع نفسه ٦٩ ، ٨١.

[١٢] المرجع نفسه ٩٨.

[١٣] حياة القديس تيخون من زادونسك (موسكو: ١٨٦٣)، ١٦٥–١٦٧.

[١٤] سوزومين، تاريخ الكنيسة، الكتاب الأول، الفصل ١١.

[١٥] احتج ويليامز مؤلف كتاب "أخلاقيات الغذاء" على ذلك قائلًا إنّنا إذا حاولنا الدفاع عن تناول اللحوم بناءً على الكتاب المقدس، فسنضطر أيضًا إلى الدفاع عن العبودية وتعدّد الزوجات والحروب الهمجية (ص ٢٠٨). لكن بالنسبة إلى كل شخص غير متحيز، من

الواضح أن هناك فرقًا جوهريًا بين تناول اللحوم وتعدّد الزوجات على الأقل؛ ويتبيّن من الكتاب المقدس أنّ الله أذن للأوّل وباركه، ولكنه سمح بالثاني لفترة فقط.

[١٦] الأساس العلميّ للنباتيين؛ أخلاقيات الغذاء.

[١٧] على سبيل المثال، أوزوالد، وبنتام، ونيكلسون، وجليز، وميشل، وهولتز، وأخيرًا ويليامز مؤلّف أخلاقيات الغذاء.

[١٨] يسأل أحد النباتيّين: "هل يمكن أن تكون أرواح جميع الحيوانات إلى جانب البشر فانية أو خلقت مختلفة تمامًا؟" (أخلاقيات الغذاء).

[١٩] كان الإجهاض لا يزال مماثلًا لقتل الرضّع عندما كتب القديس تيخون هذا، ولكن لو كان يكتبه الآن لكان بلا شك ذكر كيف أنّ العديد من المدافعين عن حقوق الحيوان لا يرون أيّة مشكلة في الإجهاض، ويشعرون بالتعاطف مع الحيوان أكثر من الجنين البشري.

[٢٠] لو وُجد "فلاسفة" أكدوا العكس، لكان القديس باسيليوس الكبير قد قال لمعاصريه: "اهربوا من هذيان الفلاسفة الكئيبين الذين لا يخجلون من اعتبار أرواحهم مثل روح الكلب، ويقولون عن أنفسهم إنهم كانوا ذات مرة أشجارًا وأسماكًا من البحر. وعلى الرغم من أنني لن أقول ما إذا كانوا أسماكًا أم لا، فإنني مستعد بكل جهدي لأوكّد أنهم عندما كتبوا ذلك، كانوا أسماكًا غبية".

ما هو ذِكر الموت وما الذي يعنيه بالنسبة لنا؟

الأرشمندريت جورج كابسانيس

نقلته إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

إن ذِكر الموت يُساعدنا في التغلب على ذواتنا السابقة لأنه يجلب التواضع إلى نفوسنا. حين ننسى الموت نعاني من وَهْم أننا سنبقى على الأرض إلى الأبد، هذا الوهم الذي يزيد غطرستنا وجشعنا وشهوانيتنا وميلنا لاستغلال الآخرين. يمنحنا ذِكرُ الموت إحساساً بمحدوديتنا هنا على الأرض، وبأهميةِ أعمالنا وكلماتنا وأفكارنا للأبدية والحياةِ بعد الموت.

بهذه الطريقة، يساعدُنا (ذكر الموت) على مواجهة هذه الحياة بجديةٍ من وجهة نظر الأبدية، فلا نضيّعُ حياتنا على الأرض بعَيشِها بإسرافٍ وطيش وأهمالٍ غيرَ مُبالِين بالعواقب. لذلك قال الفيلسوف اليوناني القديم سقراط بأن "الذين يتأمّلون بحكمةٍ، يفكّرون بعمقٍ في الموتِ، وهم أقلُّ خوفاً منه من الآخرين" (Plato, *Phaedo*, 67e). ينصحنا القديس يوحنا الذهبي الفم بزيارة المقابر بوتيرةٍ مُنتظمةٍ لكي نتأمل في بُطلان الشؤون الإنسانية.

جميعنا نعلمُ أننا بعد زيارة مقبرةٍ نصبح أكثر تواضعاً وطيبةً وأقل تعلقاً بالأمور المادية وأكثر انفتاحاً على الله والآخرين.

إن ذكر الموتِ، الذي كتبَ عنه كثيراً القديسُ يوحنا السلمي وآباءٌ آخرون، لا يمتُّ بصلةٍ لأي حالةٍ مرَضيّةٍ أو عصبية أو حالةِ اكتئاب. أيُّ شيءٍ من هذا القبيلِ لا ينفعُ النفُس لأنه يجلب اليأس ويجب التغلب عليه بمؤازرة مرشدٍ روحي.

ذكرُ الموتِ بوَرَع هو حالةٌ مواهبية وروحية تجلب التواضع والسلام والفرح إلى النفس. إنه موهبة من الله وعلينا أن نطلبها منه.

كيف نتوصّل إلى ذِكر الموت؟

كلما تغلبنا على حياتنا الأنانية وأحببنا الله أكثر، كلما فكرنا بهِ أكثر. كبشرٍ، نحن نفكّر بما يهمّنا وبما نُحب. الربُّ نفسُه قال: "حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك".

دراسةُ كلمة الله في الكتاب المقدس وآباءِ الكنيسة، ومُلازَمَة أشخاصٍ روحيين يحبّون الله، والصلاةُ الحارة، والاشتراك المنتظم والمتواتر في الخِدَم الإلهية، والاشتراك باستحقاقٍ في المناولة المقدسة، كل هذا يزيدُ محبة لله في داخلنا، وبالتالي تَذَكُّرَه.

ينصحنا القديس غريغوريوس اللاهوتي قائلاً: "ذِكرُ الله أهم من التنفس". الذِكرُ المستمر لله يجلب السلام العميق والمحبة إلى الروح، حتى في أصعب ظروف الحياة.

Source: Archimandrite Georgios Kapsanis, Abbot of the Holy Monastery of Gregoriou. “What is ‘remembrance of death’ and what does it mean for us?” *Pemptousia*. 12 January 2022. https://pemptousia.com/2022/01/what-is-remembrance-of-death-and-what-does-it-mean-for-us/

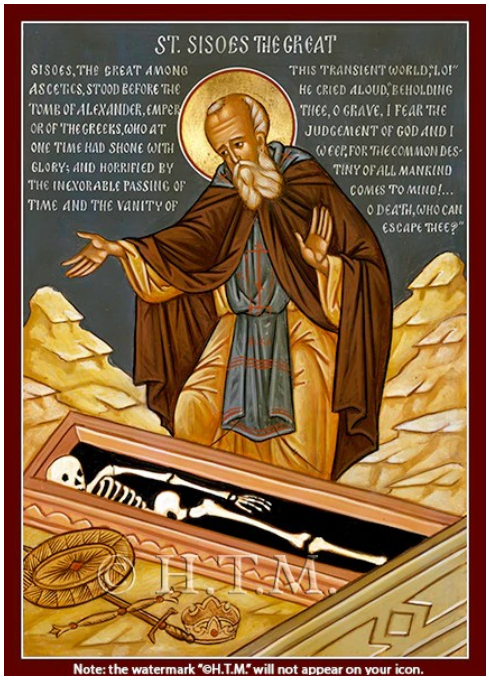

سلام الله كنزٌ عظيم

المتروبوليت أثناسيوس مطران ليماسول

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

عندما نقتني سلام الله في داخلنا، تقتنع أرواحنا بأن الله هو حقاً أبونا، وبأننا أولاد هذا الإله القدير الذي يرعى خليقته ويحكمها. نشعر حينها بأننا لسنا في خطر وليس علينا أن نخاف شيئاً.

حين نكون في سلامٍ مع الله، نكون في سلامٍ مع الآخرين أيضاً. نتوقف عن رؤية الآخرين كأعداءٍ، وعوضاً عن ذلك نرى فيهم إلَهنا: "إذا رأيت أخاك أو أختك فقد رأيت الرب إلهك". بالنسبة لشعب الله، كل إنسانٍ هو "حسنٌ جداً" بمقدار ما صنع اللهُ الخالقُ كل واحدٍ، ولا يفكرون (أي شعب الله) بالشر في قلوبهم، لأن الشر غير موجودٍ بالنسبة لهم. بالطبع، هم ليسوا ساذجين، ولكنهم لا يقرّون بأن خليقة اللهِ، المخلوقة على صورة إلهنا الصالح، شريرة وتتمنى لنا الشر. هذا لا يعني بأن شعب الله حمقى وسُذَّج، وهم لا يظنون أن لا شيء مُطلقاً يهددهم، وبالتالي، لا يمكن أن تكون لديهم علاقات سيئة مع الآخرين. شعب اللهِ، الموقِنون بوجود الله، لا يخافون أحداً أو شيئاً. سلام الله له نتائج اجتماعية مبهرة. حين يزول الحسد والشك والخوف، فلمَ لا نتحد بالمحبة بعضنا تجاه بعضٍ في عائلاتنا وفي حياتنا اليومية؟ ولكنْ إن لم يكن لدينا سلام الله، فإننا نحسدُ بعضَنا ونخاف من بعضنا، ونتصرف بروح الشك وفقدانِ سلام الله. إننا واقعون تحت ضغط الشر الساكنِ فينا، لأننا، إذْ نحن محرومون من نعمة الله، لم نقم من تحت حجاب الشر الذي يغطي العالم. لذلك فإنه من الطبيعي أن نخاف، لا مِن إخوتنا وأخواتنا والناس الآخرين فحسب، بل من محيطنا المباشر أيضاً. نشعر حينها بأننا مهدَّدون من كل شيء. غالباً ما نشعر بأنَّ لا رغبة لنا في أن نكون غير محميين أمام الآخرين، لأننا لا نعرف ما الذي يمكن أن يحدث في حالةٍ كهذه، ولا نملك سلاماً في أرواحنا.

ولكنَّ السلام الذي مصدره الله ينتشر في كل مكانٍ عبر البيئة المحيطة. لذلك فإن شعب الله يمكنهم أن يقيموا في أي مكانٍ، ويُصادِقوا الخليقة بأكملها، ويعيشوا بسلامٍ معها. عاش العديد من القديسين مع الحيوانات البرية. عاش القديس جراسيموس مع أسدٍ عند نهر الأردن، وعاش القديس باييسيوس مع الحيوانات البرية، لأنه مثل بقية القديسين، كان متصالحاً مع الله. أقام القديس باييسيوس في وادٍ، في مكانٍ مريعٍ، وكلُّ الأساقيط في الجبل المقدس متشابهة. لكنه لم يشعر بأي خوفٍ هناك. كان كل شيء حوله آمناً ورائعاً جداً حتى أنه شعر بأنه يسكن في أكثر مكانٍ مُفرِحٍ على وجه الأرض. اليوم، يمكننا العيش في مدينةٍ مع الكثير من الناس ومع ذلك نشعر بالخوف، لأننا فقدنا سلام الله.

لذلك، فإن هذا السلام المُعطى للإنسان من خلال عمليةٍ معينة، يؤثر في حياتنا بأكملها، وهو ملموس

وحقيقي ومُطلق. الكنيسة تُعطي هذه الخبرة. ولكنْ كيف يحدث هذا عملياً؟ هل يمكن للناس العائشين في عالمنا، الذين يحيون حياتهم اليومية بكل مشاكلها وأخطارها، أن يختبروا سلام الله ومواهبه إذا كان كل ذلك متوفراً لفئة واحدةٍ معيّنةٍ فقط؟

ولكن المسيح دعانا جميعنا إليه وقدّم نفسه لنا جميعاً في الكنيسة. جميعنا أبناء الكنيسة أمّنا، التي صنعها الله وأغناها بالمواهب التي جلبها بتجسده وبانحدار الروح القدس. لذلك يمكننا جميعاً الاشتراك في خبرة سلام الله. وبالتالي، فإن تسبحة الملائكة: "المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام..." قد تم تأكيدها وأصبحت حقيقةً في قلوبنا وتظلُّ كذلك. لا ينظر المسيح إلى الناس كجموعٍ. يرى كل شخصٍ على أنه فريدٌ، ويشفي كلاً منا بشكلٍ منفرد، ويحفظ شخصية كل واحدٍ منها. لا يجعلنا كلنا متماثلين. إن ضمان الحرية واحترامها يُظهران بأن سلام الله يتحقق في كل واحدٍ منا على حدة، ويمنحُنا الطريق للقاء المسيح.

لقد أظهر لنا القديسون أنفسهم أن هذا السلام موجودٌ على الأرض وهو معروض ومُقدّم لنا. حين تنفتح قلوبنا للنعمة، تتواصل معها وترتفع فوق أحداث هذا العالم. عندما يدخل الناس حقيقةً إلى مناخ هذه العلاقة مع الله، يولد داخلهم رجاء غير متزعزع بمحبة الله. لا يعيرون انتباهاً إلى واقعِ خطاياهم أو سقطاتهم أو أمراضهم، بل يختبرون فرح الرجاء.

إن سلام الله متاحٌ لكل واحدٍ منا ويمكننا التمتع به. "تعال وانظر" (يوحنا ٤٦:١) ، يقول المسيح. "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (مزمور ٩:٣٣)، لطالما تحدثت الكنيسة حول هذا بثقةٍ وسلطة تامة، لأنها امتلكت بين يديها هذه الخبرة. إنها مُتاحة لكلٍ منا، ويمكن لكل واحدٍ منا بل ويجب عليه أن يجدها ويزرعها في نفسه وفي بيئته. خلّص الرب الإنسان بكلّيته، وإنه لخطأ فادح أن نظنَّ بأن هناك أية ظروفٍ لا يستطيع فيها أن يخلصنا، أو أنَّ فسادنا وشرّنا وقدرة القِوى الأخرى يمكنها مطلقاً أن تربكه أو تعيق عمله وعنايته. إن الغلبة لله. "وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم، إيماننا" (١ يوحنا ٤:٥).

افعل كل ما في وسعك بدون قلق وتوتر، وسيشهد ضميرك أنك قُمت بكل ما تستطيع. ثم ضع كل مشاكلك ومشاكل أولادك وصحتك وأموالك، أي كلَّ شيءٍ يُثقل كاهلك، في يدي الله. وحينها سيظهرُ (الله) بالحقيقة. لقد غلب المسيح العالم والخوف والقلق، وأعطانا نفسَه لنعرف سلامنا الحقيقي. لذلك نحن سعداء ومسالمون. إننا لا نخاف شيئاً، بل نمضي في طريقنا، حاملين ذلك السلام العميق في قلوبنا، وهو السلام الذي رتلت له الملائكة واختبره جميع القديسين وحفظته كنيستنا إلى هذا اليوم ككنزٍ ثمين.

Metropolitan Athanasios of Limassol. “The Peace of God is a Great Treasure”. Translation by Jesse Dominick. *Orthodox Christianity*. Sretensky Monastery. 1/25/2022. https://orthochristian.com/144074.html

الوقت فرصتنا العظيمة

الأرشمندريت بطرس، رئيس دير القديس يوحنا المعمدان، اسكس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

الوقتُ أمرٌ مأساوي في حياةِ الإنسانِ، لأن كل عامٍ جديدٍ يقيس مدى اقتراب حياته من نهايتها. هل الوقتُ، في نهاية المطافِ، صديقٌ أم عدو؟ بركةٌ أم لعنة؟ إن الطريقة التي نقيس بها الوقتَ ضرورية، ولكنها أيضاً نسبية واصطناعية. ومع ذلك، فإن بداية كل عامٍ هي فرصةٌ لنا لنقدم حساباً عن حياتنا الروحية ونضعَ بداية جديدة. منذ بدء الخلق، يتحدث الكتاب المقدس عن الوقت: "ودعا الله النورَ نهاراً والظلمةَ ليلاً. وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوماً واحداً" (تكوين ١:٥). بالتأكيدِ، لم يُخلقِ الإنسانُ ليكون سجينَ الزمن بل خُلِق للأبدية. خُلِقتِ الملائكة في الأبدية، لذلك فإن سَقْطة لوسيفورُس لا رجعة عنها. بالنسبةِ للإنسانِ، يبرهنُ الوقت على محبة الله لأنه، بعنايته الصالحة، قد صنعَ الإنسانَ ضمن الزمان والمكان لكي يستفيد الأخيرُ من "قابلية الوقت للتغيّر" التي تحدث عنها الفلاسفة، وليمتلك إمكانية التوبة. يستحيل أن نسيطر على اللحظة الحالية لأنه ما إنْ ندعوها "حاضرة" حتى تكون قد أصبحت بالفعلِ من الماضي. ومع ذلك، فإن تقلّب الزمن هو بركةٌ للإنسان، إذْ يمنحُه فرصةَ التغيّرِ في الخير وبناءِ حالةٍ روحيةٍ بداخله. يحثنا القديس بولس الرسول على افتداء وقت حياتنا لأن الأيام شريرة (راجع أفسس ٥:١٦).

يكتسب زمان حياتنا قيمةً ومعنىً لا بعدد السنوات، بل بمقياس استفادتنا منه بالعمق. إذا لاحظتم، تقول القراءات المخصصة لأعيادِ الآباء القديسين بأن الشيخوخة المكرمة تعتمد على عَيش الإنسانِ حياةً مستقيمةً ونقية: "قد بلغ الكمالَ في أيام قليلة؛ فكان مستوفياً سنين كثيرة" (حكمة ٤:١٣) هذا يعني بأن حياتهم قد بلغت مِلأها. غالباً ما نسمع الناس يقولون "كم أضعت من الوقت في حياتي". من المؤسف أننا ترعرعنا مع أنماطِ هذا العالم ولسنا نعرف كيف نستفيد جيداً من هذه العطية العظيمة في حياتنا، والتي تُدعى الوقت. في ظلمةِ الجهل، يتعامل الناس مع الوقتِ بالعودة بحنينٍ إلى الماضي الذي لم يعد يخصّهم. وفي أحيانٍ أخرى، يقودهم العدو إلى اليأس بتذكيرهم بكل إخفاقات الماضي. يَنقُل أناسٌ آخرون أذهانهم إلى المستقبل عبر المخيّلة. إنه لأمر مأساويٌ أن يميل الإنسان لملاحظة علاماتِ الزمنِ على الآخرين بأكثر يسرٍ مما يُلاحظ ذلك على نفسه. يريدُ الهرب باستمرارٍ من فسادِ الزمن وأن يكون خالداً على الأرض. ومع ذلك، فإن الوقت والموت وُجِدا كعملِ محبةٍ مُطلقة من الله تجاه الإنسان، لئلا يصبح الإنسانُ خالداً مع الشر.

إن أعظم حدثٍ تحت السماء هو اللحظة التي أصبح فيها الله نفسُه إنساناً. وعندها، دخلت أبديةُ اللهِ الزمنَ متقاطعةً مع المسار الأفقي للزمن التاريخي. يُدعى الرب "المسيح"، أي "الممسوح" من الله، وهو نفسُه يمسح الزمن وكل الخليقة بقوته الإلهية. بلغَ الزمنُ في العهد القديم مِلأه حين حصلت كل الأشياء التي أراد الله حدوثها. يطابق الآباء القديسون "ملء الزمان" بالعذراء القديسة. وبالمثل، بالنسبة لنا، فإننا إلى جانب افتداء الوقت نحتاج أيضاً إلى ملء الحياة. إن الوسيلة التي علينا استخدامها لتبلُغ حياتنا ملأها وتفتدي الأبدية هي الوقت نفسُه. يقول القديس باسيليوس الكبير بأن الزمن هو فترةٌ تتكشّف مع خلق العالم، فترةٌ لها بدايةٌ ونهاية، بدأتْ مع خلقِ العالم وتستمر بالتوازي مع تقدّم العالم. يقول القديس صفروني بأن الزمن هو مكان لِقائنا بالله. إنه الوقت الذي يخلق فيه الله آلهةً. يُستخدم المصطلح Kairos ليتورجياً حين نقول بأن الكهنة يأخذون الكيرون، أي أنهم يستعدون بخدمةٍ (صلاةٍ) صغيرةٍ قبل دخول الهيكل للاحتفال بالقداس الإلهي(كلمة καιρός هنا تأتي من اليونانية القديمة وهي تعني حرفياً اللحظة المناسبة - المترجم). وبنفس الطريقة، فإن زمان حياتنا هو وقت نُعِدّ خلاله أنفسنا للحياة الآتية. يقول القديس نيقولاوس كاباسيلاس بأن الحياة في المسيح تُبذَر في هذا العالم ولكنها تؤتي ثمارها بملئها في الحياة الأخرى. أحدُ الأسباب التي تجعلنا، حتى نحن المسيحيين، نضيع وقتنا هو أنه ليس لدينا موقف طاعةٍ تجاه آبائنا الروحيين ولا تجاه تقليد الكنيسة. كل من لا يعرف سر الطاعة يُضيّع وقت حياته، مع أنه من الناحية الإنسانية قد يحقق إنجازاتٍ عظيمةً ومشرقة. لن يجمعَ خارجَ الطاعة إلا القليل من الفُتات من المائدة الغنية لتقليد آبائنا. يُقال في كتاب السلم إلى الله أن ثلاثة شبانٍ ذهبوا لرؤية شيخ ليطلبوا كلمة منفعة. قال القديس لثالثهم: "تذكّر أنه بصبرنا نقتني نفوسنا. جِد لك شيخاً صارماً وكن طائعاً له في كل شيء"، فسأله الشاب: "وإنْ كان الشيخ لا يحيا حياةً روحية، فهل عليَّ البقاء؟" فأجابه القديس: "حتى وإن وجدتَه أسوأ الكل، لا تدِنه، بل قُلْ لنفسك الكلمات التي قالها المسيح ليهوذا: يا صاحب، لماذا أتيت (راجع متى ٢٦:٥٠) أَلِتَدين أم لِتُدان؟ اصبر وعندها سترى أن نعمة الله ستُطفئ في داخلك كل كبرياءٍ وكل شهوةٍ جسديةٍ أخرى". نرى أن من يستسلم للطاعة ببساطةٍ لا يلاحظ حتى التجارب التي يمكن أن تسحق الآخرين. ينطبق هذا على كل المؤمنين وليس على الرهبان فقط. لو أن لدينا طاعةً حقيقية لمؤسسات الكنيسة لمنحَنا اللهُ أن نصير أيضاً حَملةً لتقليدها.

إننا، بعد المسيحِ، نحيا في سنةِ الرب (راجع لوقا ٤:١٧). كثيراً ما نقول في الخِدَم: "تبارك مُلكك، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين" (أي مُلك الله وذلك في عدد من الإعلانات التي يقولها الكاهن: المترجم)، هذا يعني بأن هدف زمانِ حياتنا أن نجمع في داخلنا في كل لحظةٍ خَتمَ حضور المسيح لكيما ندخل في أبديّته. بقي المسيح على ما كان عليه، واتّخذَ ما لمْ يكُنْ، أي الطبيعةَ البشرية. تشير

الكنيسة إلى هذه الأمور كلها خلال خدماتِ اليوم. أيُّ ساعةٍ مباركةٌ أكثر من الساعةِ السادسة التي سَمّر فيها المسيح جسده على الصليبِ وصلبَ الخطيئة؟ أو الساعةِ التاسعة حين قال "قد تمّ" لكي يكشف أن مخطط الله من أجل الإنسانِ قد أُنجِز؟ أيُ ساعةٍ أكثر بركةً من الليلة التي ولِد فيها المسيح أو الليلة التي قام فيها من بين الأموات؟ كما قال سليمان الملك: "وَحِينَ شَمِلَ كُلَّ شَيْءٍ هُدُوءُ السُّكُوتِ، وَانْتَصَفَ مَسِيرُ اللَّيْلِ، هَجَمَتْ كَلِمَتُكَ الْقَدِيرَةُ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ الْعُرُوشِ الْمَلَكِيَّةِ عَلَى أَرْضِ الْخَرَابِ بِمَنْزِلَةِ مُبَارِزٍ عَنِيفٍ، وَسَيْفٍ صَارِمٍ يُمْضِي قَضَاءَكَ الْمَحْتُومَ"، عن إرادته الحقيقية لتخليص الإنسان (راجع حكمة ١٨:١٤-١٦).

أسئلة وأجوبة:

س: كيف ترتبط الذاكرة بالوقت؟

ج: هناك ذاكرةٌ روحية، هي فِعلُ صلاة، وهناك ذاكرة نفسية، هي مجرد ذكرى لأحداثٍ ماضية. عبر التذكّر الروحي، نأتي بالأمور التي نتذكرها أمام الله بصلاةٍ وشكرٍ. نصلّي من أجل الراقدين قائلين: "ذكرهم مؤبد" ، بمعنى أنّ أولئك الذين يَذكُرهم الرب يحيون حقاً، في حين أن نسيان الله هو موتٌ أبدي. وبالمِثل، فإن التذكّر المُفعَم بالصلاةِ هو فعلٌ يُقدّس بلْ ويفدي ماضينا، تماماً كما أن "المسيح قد افتدانا من لعنة الناموس" بدمه الخاص (راجع غلاطية ٣:١٣)، "وليبذُل نفسَه فديةً عن كثيرين" (راجع مرقس ١٠:٤٥). لا سبيل آخر لنا لنفتديَ ونقدسَ الماضي أو الحاضر أو المستقبل إلا بأن نجلبه أمام الله بالصلاة.

س: لماذا يمنح اللهُ البعضَ سنواتٍ قليلةً للعيش، فيما يموتُ آخرون في شيخوخةٍ متقدمة؟

ج: الأمر الوحيد الذي يمكننا قوله هو "فلنودِع ذواتنا وبعضنا بعضاً وكل حياتنا المسيحَ الإله" . المسيحُ ممسكٌ بيديه الأوقات والأزمنة، وعلينا فقط أن نُسلّم أمرنا له ونسعى يومياً بقدر استطاعتنا لنجمع الأبدية داخلنا عبر الصلاة وكلمةِ الله وأسرارِ الكنيسة وتطبيق الوصايا. أحكامهُ لا يُسبَر غورها، والأمر الوحيد المؤكد والمُطلق الذي نعرفه هو أن كلَّ ما يعملُه فهو من تلقاء صلاحه، وأن لديه الأبدية بأكملها ليعوّضَ عن كلِّ ظلمٍ واقعٍ على المستوى التاريخي.

س: يقول القديس يوحنا السلمي بأن زمان حياتنا غير كافٍ لتكون لدينا صداقاتٌ ودموعٌ معاً، وأن علينا أن نختار إما هذا أو ذاك. كيف يمكننا فعلُ ذلك؟

ج: لأكون دقيقاً، يقول (السلمي) كلمةً أصعب: اليومُ الذي لم نذرفْ فيه دموعاً قد ضاع إلى الأبد. بالتأكيد سنحصلُ على فُرَصٍ أخرى للنوح، ولكننا لن نجدَ ذلك اليومَ ذاتَه أبداً، لأنه إذْ حُرِم من ختمِ الله الذي بالدموعِ فقد بقي غير مَفدي. رغم أن لدينا انطباعاً خاطئاً بأننا سنعيش على الأرضِ إلى الأبدِ، إلا أنَّ وقتنا قصير جداً وغير كافٍ للصداقات والدموع كليهما. هذا لا يعني بأنه يجب ألّا نكون ودودين مع مَن حولنا، بل ألا يتعلق قلبنا بأشخاصِ وأشياءِ هذا العالم. إلهنا إلهٌ غيور، ويريد قلبَنا كلّه. ومع ذلك فهنالك سر: إنْ قدّمْنا قلبَنا بالكلّية للرب، فإن إرادته تصير إرادتنا، ويتّسع قلبنا ليحتضن الآخرين جميعاً بدونِ هوىً، من خلال المسيح وليس من خلالنا. حين نبني صداقاتٍ نحنُ مركزُها، فإن صداقاتٍ كهذه هي "منابِر" لإشباع أهوائنا ومجدنا الباطل. افتدى القديسون لا زمان حياتهم فحسب، بل أزمنة حياة رفاقهم أيضاً.

س: تحثّنا الكنيسة على السكون في أيام الآحاد والأعياد الكبرى. هل هذا كما لو أن الوقت يتوقف إلى حينٍ بالنسبة لنا؟

ج: كما تعلمون، غالباً ما يقول الناس لنا بأن إيقاع الحياة سريع جداً ولا يوجد وقت للصلاة. يمكن لأحدهم أن يُمضيَ ثلاث ساعاتٍ على الإنترنت بدون أن يُدرك مرور الوقت. ولكنْ، إنْ ذهب ذلك الشخص (نفسُه) إلى الكنيسة فإنه يشعر بأن "خدماتِ الكنيسة الأرثوذكسية طويلة جداً". من يُمضي أربع ساعاتٍ على الإنترنت سيجمع في أفضل الأحوال بعض المعرفة التي ليست دقيقةً حتى. ومع ذلك فإنه في أسوأ الأحوال يبقى فارغاً ويجف قلبه. في حين أن من يكرس أربع ساعاتٍ للصلاة يومياً ينال حالة مختلفة تماماً. لا يقول الكتاب المقدس "اركضوا واعلموا أني أنا الله" بل "كونوا ساكنين واعلموا أني أنا الله" (راجع مزمور ٤٦:٩). دعونا لا نخدع أنفسنا ظانين بأنه إذا كنا نشاهد التلفاز ونصلي بالمسبحةِ في الوقتِ نفسه فقد تمّمنا قانون صلاتنا. "كونوا ساكنين" تعني بأن علينا أن نترك كل شيء ونقول "الآن، لخمس دقائق أو نصف ساعة، على قدر استطاعتنا، لا يوجد على هذه الأرض سوى الله وأنا". هكذا ينبغي أن يكون السكون الحقيقي لكيما تتجذر نعمة الصلاة فينا. وإلا فإننا سنكسب بضع حباتٍ من الرمل فقط من الشاطئ بأكمله.

س: ما الذي يعنيه بأن الزمن يصبح "كيروس" في الكنيسة؟

ج: "الكيروس" يعني الوقتَ الذي نخصصه لوقفتنا في حضرة الله، وبركة "الكيروس" هي أنه يحضّرنا ويغيّر حالتنا. حين نخطئ، إذا عشنا الزمن بالتوبة، يصبح بالنسبة لنا "وقتاً يُعمَل فيه للرب"، أي وقتاً يُحال لله. يقول الرسول بأن "كل خليقة الله تتقدس بكلمة الله والصلاة" (راجع ١ تيموثاوس ٤:٤-٥).

لذلك فإن زمان حياتنا أيضاً يُصبح "كيروس" حين نجعل منه فرصةً لتزورَنا نعمةُ الله وتُظللَنا. في هذه الأيام، يُركّز الشباب خاصةً على الوقتِ بشكلٍ كبير، حتى من خلال المخدرات، وكلما أرادوا عَيش الوقت، كلما انزلق من بين أصابعهم. يجري الإنسان ويطاردُ ظلاً، ولكنْ، لا يُمكن الإمساك بهذا الظل الذي يُدعى "الوقت". ومع ذلك، حين يُصبح الوقتُ "كيروس"، يقول النبي داوود "صلاتي لك يا رب هي وقت رضى" (راجع مزمور ١٤:٦٨)

س: أمام كل عامٍ جديدٍ نشعر بأننا عالقون في نقطةٍ من الزمن ما بين العامِ الذي مضى والذي يأتي. ألا يحدث ذلك في كل لحظة من الزمن؟

ج: تُجنى الفائدة من "الآن"، مما نقوم به في هذه اللحظة، والعدو، لعلمه بذلك، يأخذ ذهننا من "الآن" ويحاول تحويله إمّا إلى الماضي، مالئاً إيانا باليأس والإحساس بالذنب، أو إلى المستقبل، مالئاً إيانا بالقلق. حتى أننا ندعو هذا القلق "الأخرويات". ومع ذلك، فإن علم الأخرويات الحقيقي هو أن نسعى يومياً لتحقيق اتصالٍ مع آدم الآخير الذي خُلِق آدمُ الأول على صورته. ذاك الذي سيأتي مجدداً في النهاية هو نموذج آدم الأول. إن العيش في حضرة آدم الأخير، بكلمته وفي نعمته، لا يعني العيش في غمٍّ وخوفٍ بخصوص المستقبل.

س: كيف نفهم أن الزمن هو عطية صلاح الله؟

ج: حين تُظلل نعمة الله الوقت، يمكن للإنسان أن يقول أموراً متناقضةً مثل: "هذِهِ الأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ" (راجع١ كورنثوس ١١:١٠)، أو أن يصير معاصراً للأحداث الأبدية. ولكننا نقول في الوقت نفسه: "يا رب ارحم". كلا الأمرين صحيح، لأنه مادام هنالك وقت، حتى عندما نكون ممتلئين من فرح حضوره، يبقى هنالك خطر. تذكرون ذلك الشيخ الذي قال في أيامه الأخيرة قبل موته حين كان أحدٌ ما يمدحُه: "احذر، ما زال لدي وقتٌ لأُفسِد كل شيء".

س: هل زمن الليتورجيا هو نفسه زمن الأبدية؟

ج: إن الزمن الليتورجي هو "اليوم الأخير"، الزمن البشري التاريخي المُظلَّل بالقوة الإلهية غير المخلوقة التي تقودنا إلى أبدية الله. يقول القديس صفروني بأن الزمن نسبي، لكنْ ليس بحسب قصد آينشتاين الذي قال بأنه حين تتجاوز الكتلة سرعة معينة فإنه يمكنها أن تتحول إلى طاقة. من الناحية الروحية، يحصل هذا لأرواح القديسين الذين في اندفاعهم نحو الله ينسون العالم وكأنهم يتخلصون من جاذبيته، يصيرون كلهم نوراً، كلهم قوة. حين يعودون إلى العالم يصيرون أبواباً إلى الملكوت،

وتعكس حياتهم فضائلَ الله حتى نتمكن نحن من التمثّل بهم، كما يقول القديس بطرس: " لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ." (راجع ١ بطرس ٢:٩)ـ كما يقول القديس بورفيريوس، لا يوجد عامٌ جديدٌ، يوجد الوقتُ الذي مضى وحسب. ولكنّ الوقت الذي يمنحنا إياه الله هو "الكيروس" (اللحظة المناسبة: المترجم) الذي علينا تحويله إلى فرصة ليدخل الله إلى حياتنا.

Source: Archimandrite Peter, Abbot of Monastery of St John the Baptist, Essex UK. “Time – Our Great Opportunity”. *Pemptousia*. 10 January 2022. https://pemptousia.com/2022/01/time-our-great-opportunity/

اللاهوت الصوفي في المسيحية الشرقية

إيريني أرتامي وخريستوس تارازيس [١]

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

في بداية هذا المقال[٢] سوف نقدّم في بضع كلمات كيف فهم أفلاطون وأفلوطين اللاهوت الصوفي وكيف أثّروا على الآباء المسيحيين. أدرك أفلوطين مصطلحات الفلسفة اليونانية وكيفها مع التعاليم المسيحية. يوضح أندرو لاوث أن: "اللاهوت الصوفي، أو ربما التعبير الأفضل هو عقيدة التأمّل، ليس مجرد عنصر في فلسفة أفلاطون، بل هو شيء يخترق ويعلّم فهمه الكامل للعالم. يرى أفلاطون العالم الذي نعيش فيه - عالم التبدّل والتخمين والرأي - كعالم تستحيل فيه المعرفة. يجب أن تكون المعرفة مؤكّدة، ويجب أن يكون موضوع المعرفة ثابتًا وأبديًا، وما من شيء في هذا العالم يلبّي هذه المتطلبات. إن استعادة المعرفة الأمينة للحقيقة والجمال، لما هو حقيقي وحده، هي موضوع الفلسفة. هذه المعرفة في كمالها مستحيلة في هذه الحياة، لذا فإن الفلسفة هي تحضير لقابلية الموت وللموت نفسه"[٣]. بالنسبة لأفلوطين، "حقيقة كلمة الله ليست شيئًا يستطيع العقل البشري تحليله"، وهو يسمّى المبادئ الأساسية الثلاثة لماورائياته "الواحد" (أو بالتوازي "الخير")، والعقل، والروح [٤].

هذه المبادئ هي حقائق وجودية نهائية ومبادئ تفسيرية. يمتلك البشر القدرة للحصول على معرفة جيدة لكل حقيقة، بما في ذلك الأشياء الإلهية. إن "واحد " أفلوطين يسمو على الوجود ولا يمكن أن يقال عنه شيء حرفيًا، ولا حتى أنه كذلك، لكنه أيضًا يسميه "الخير". إنه فوق كل "الأشكال" الأخرى وأسمى من الوجود.

إن المسيحية استثنائية. هي ليست دينًا "اخترعه" إنسان. إنها فريدة من نوعها. إنها الحقيقة الفذّة لعمل الله لاستعادة البشرية من حالتها الساقطة من خلال ابنه يسوع المسيح. ليست المسيحية نشرًا لفلسفة. إنه التعليم عن استعلان الله الخارق للطبيعة للإنسان. ليست المسيحية أداءً لمناهج دينية. ليست استمرارًا لبرنامج تنظيمي. المسيحية هي قبول شخص ، هو يسوع المسيح ابن الله، الله نفسه، في كيان الإنسان وسلوكه. في المسيحية، يمكن للمؤمن بلوغ معرفة الله من خلال لاهوت الصلاة الصوفي، لاهوت المؤمنين.

في كل الأديان الأخرى يحاول الإنسان الوصول إلى الله؛ في المسيحية يأتي الله إلى الإنسان. لقد اختفت الهاوية التي كانت قائمة بين الله والإنسان بعد طرد الأخير من الفردوس، بطريقة رائعة، بتجسد كلمة الله. على الرغم من أن الله يمكن أن يخلص الإنسان ويعيد علاقته به بآلاف الطرق [٥]،

إلا أنه اختار تجسد الكلمة وآلامه وصلبه وقيامته ليخلص مخلوقه المفضّل، الإنسان، "لأن الله محبة" [٦].

يشير مصطلح "اللاهوت الصوفي" بشكل عام إلى خبرة مباشرة وفورية للمقدّس، أو المعرفة المستمدة من هذه الخبرة. عادة ما تأخذ هذه الخبرة في المسيحية شكل رؤية أو شعور بالاتحاد مع الله؛ عادة ما يكون اللاهوت الصوفي مصحوبًا بالتأمل والصلاة والنسك. إنه يكشف عن فهم التكامل الداخلي للوعي الصوفي والفرق بين المعرفة بالتجربة المباشرة والتعبير اللاهوتي. يكون كل لاهوت صوفياً بقدر ما يُظهر السر الإلهي [٧].

يسعى اللاهوت الصوفي إلى وصف معرفة لله، متمرسة مباشرة غير تجريدية، بدون وسيط، ومُحِبَّة. إنها معرفة أو رؤية مباشرة إلى درجة أن تسمّى الاتحاد بالله. هدفها التألّه. التألّه، وهو مصطلح غالبًا ما يستخدم بالتبادل مع الألوهية، هو مفهوم متعدد الأوجه نشأ في البداية خلال القرون الأولى للمسيحية [٨]. يشهد اللاهوت الصوفي المسيحي على شكل روحي وصوفي لمعرفة الله من خلال "اللمس" و"السمع" و"التذوق" و"الشم" و"معاينة" الكائن الإلهي المطلق [٩]. ينشأ اللاهوت المسيحي من حقيقة إعلان الله للناس [١٠].

كل آباء الكنيسة قدّموا في إجاباتهم على العبارات الهرطوقية المختلفة أو الأسئلة المطروحة من الفلاسفة اليونانيين، لغة محدودة عن الله، عندما كان عليهم التحدث عن عدم فهم الله واللاهوت والتدبير الإلهي [١١]. بشكل عام، ظهر مصطلح اللاهوت الصوفي حكماً من خلال النصوص المرجعية لديونيسيوس الأريوباغيتي وبشكل رئيسي في العمل "اللاهوت الصوفي (Mystica Theologia)" ، لكن سياقه كان موجودًا في كتابات آباء الكنيسة الآخرين كتأمل صوفي أتاح للإنسان فهمَ وجود الله باعتباره "الظلمة الإلهية" أو الغنوفوس (γνόφος)، عن طريق الجهل [١٢].

تقود الظلمة الإلهية المؤمنَ إلى الاستنارة. إنها تُظهر اللقاء مع الله لا كفعلِ فهمٍ بل كاتحادٍ يفوق الفهم. بهذا المعنى، يمكننا أن نجد سياق اللاهوت الصوفي، وليس الكلمة بحد ذاتها، بشكل رئيسي في كتابات غريغوريوس النيصي ومكسيموس المعترف أيضًا. في اللاهوت الأرثوذكسي، علم معرفة الله (gnoseology)، اللاهوت الصوفي رمزي. يتم التمييز بين "جوهر" و "قوى" الله. يمكننا بلوغ معرفة القوى الإلهية غير المخلوقة، وليس الجوهر الإلهي. الله لا يُدرَك بالعقل (unintelligible)[١٣]. على كل عقل بشري أن يقبل العجز عن إدراك الله بالعقل [١٣]. الله غير محدود وغير مدرَك وكل ما يمكن فهمه عنه هو لاتناهيه وغموضه. إن كل ما يمكننا تأكيده بشأن الله لا يُظهر طبيعة الله، بل فقط صفات طبيعته [١٤].

إن الإشارة من وجهة النظر الأنطولوجية إلى تلك المعرفية (الغنوصية) التي يمكننا أن نلاحظها من خلال اللاهوت، أن توق النفس البشرية إلى الله هو تدنيس. لا يمكن إشباع هذا الشوق إلا بالوحدة الصوفية مع الله. يُبلَغ إلى هذا الاعتراف بالله من خلال التطهّر الداخلي والاستنارة والوحدة. إن الاعتراف بالله، العيش معه، هما أعلى أشكال النعيم عند الآباء. يمكن وصف الطريق إلى الله بمصطلح الظلام (الصيرورة عدماً) والنور (النعيم). أولاً يجب على الإنسان أن يتخلص من التبعيات الداخلية والتعلق بالأشياء المادية، من ثمّ يجب عليه أن يمر بظلام حلّ الأنا فيستفيق في نور الله.

[١] أستاذان في الجامعة اليونانية المفتوحة.

[٢] هذا الجزء هو المدخل إلى مقالة أوسع سوف ترد في المجلة على أجزاء:

Artemi, Eirini & Terezis, Christos (2019), “La teología mística como camino del hombre para el Conocimiento divino en los escritos de Gregorio de Nyssa, Areopagita de Dionisio y Máximo el Confesor”, De Medio Aevo 13

اللاهوت الصوفي كطريق للإنسان إلى المعرفة الإلهية في كتابات غريغوريوس النيصّي وديونيسيوس الأريوباغيتي ومكسيموس المعترف.

[3] A. Louth, The Origins of the Christian Mystical Tradition, (Oxford: Oxford University Press, 2007), http://ixoyc.net/data/Fathers/525.pdf. Chr. Terezis, Plato – Aristotle: to a reconciliation, Thessaloniki, 2011, p. 68-122; Chr. Terezis, “Aspects de la notion de mal chez Proclus et chez Denys l’ Aréopagite. Une rencontre”, Byzantion, 70 (2000), p. 491-506.

[4] Plotinus, Enneads 5.1; 5.9, Plotini opera, vol. 2, (Leiden: Brill, 1959), (p. 260-427), esp. 260- 280; 389-427.

[5] Cyril of Alexandria, That Christ is One, Sources Chréttienes 97, 75421 (=PG 75, 1321C).

[6] 1 Jn 4:8, transl. By E. Artemi.

[7] Vl. Lossky, The mystical theology of the Eastern Church, Crestwood -New York: St Vladimir's Seminary Press, 1994, p. 7.

[8] N. Russell, Fellow Workers with God: Orthodox Thinking on Theosis, Crestwood -New York: St Vladimir's Seminary Press, 2009, p. 12:

"التألّه هو استعادتنا كأشخاص إلى التَمامِيّة والكمال من خلال المشاركة في المسيح بالروح القدس، في عملية تبدأ في هذا العالم من خلال حياتنا في الشركة الكنسية والسعي الأخلاقي، وتجد الاكتمال النهائي في اتحادنا مع الآب، كل ذلك ضمن السياق الواسع للتدبير الإلهي".

[9] H. D. Egan, SJ, Christian Mysticism: The Future of a Tradition, Oregon, 1984, p. 11.

[10] Vl. Lossky, Orthodox Theology: An Introduction, trans. I. Kesardoci-Watson, Crestwood -New York: St Vladimir's Seminary Press, 1978, p. 17.

[11] Vl. Lossky, In the Image and Likeness of God, New York: St. Vladimir's, Crestwood, 1985, p. 15:

"يظل التمييز بين التدبير واللاهوت... شائعًا لدى معظم الآباء اليونانيين ومجمل التقليد البيزنطي. اللاهوت... يعني، في القرن الرابع، كل ما يمكن قوله عن الله في ذاته، خارج تدبيره الخلاق والخلاصي. للوصول إلى هذا 'اللاهوت' المزعوم بشكل صحيح، يجب على الإنسان إذن أن يتجاوز... الله بصفته خالقًا للكون، حتى يكون قادرًا على تمييز مفهوم الثالوث من المُقْتَضَيات الكونية الخاصة بالتدبير."

E. Artemi, Isidore’s Pelousiote triadological teaching and its relation to Cyril’s of Alexandria teaching about the Triune God, Athens 2012, p. 327- 333. Al. V. Nesteruk, Light from the East: Theology, Science, and the Eastern Orthodox Tradition, Minneapolis: Fortress Press, 2003, p. 56.

[12] H. D. Egan, SJ, An Anthology of Christian Mysticism, Minessota, 19962 , p. XXI.

[13] E. Artemi, “Gregory Nazianzen’s trinitarian teaching based on his Twentieth. Theological Oration -La doctrina trinitaria de San Gregorio Nacianceno basada en si Quinta Oración Teológica”, in De Medio Aevo 4 (2013/2), (127-146), 139, http://capire.es/eikonimago/index.php/demedioaevo/article/view/92. A. Versluis, Dionysius’ Mystical Theology, chapter 1, footnote 1, www.esoteric.msu.edu/VolumeII/MysticalTheology.html:

"العمه (agnosia) [فقدان الإدراك: المترجم]، ليس الجهالة أو الجهل المطبق (nescience) كما يُفهم عادةً، بل هو إدراك أنه لا توجد معرفة محدودة قادرة على معرفة اللامحدود بالكامل، وبالتالي لا يمكن الاقتراب منه فعلاً إلا من خلال العمه، أو ما هو أبعد وما فوق المعرفة. هناك نوعان رئيسيان من الظلمات: الظلمة الخافتة والظلمة الفائقة، ويقع بينهما، إذا جاز التعبير، طبقة (octave) من الضوء. لكن الظلمة السفلى والظلمة الإلهية ليسا نفس الظلمة، فالأولي هي غياب النور، بينما الأخيرة هي فائض من النور. الأولى ترمز إلى الجهل المحض، والأخرى ترمز إلى الجهل المتسامي، أي المعرفة الفائقة التي لاتُكتَسَب عن طريق العقل المنطقي".

[14] E. Artemi, "The Divine Gnosiology of Gregory of Nyssa and Nicholas of Cusa", International Journal of Social Science and Humanities Research ISSN 2348-3164 (online) Vol. 3, Issue 1, (January - March 2015), 11-19, esp. 12 Available at: www.researchpublish.com.

علم النفس والعلاج الأرثوذكسي

الأب تريفون*

نقلته إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

كنت معالجًا نفسيًا في عيادة خاصة وأدرّس في كلية صغيرة قبل سنوات عديدة. باتَ الأمرُ صعباً على نحوٍ متزايد بالنسبة لي، إذ كنت أواجه سلوك "قطع الرقبة" عند زملائي الأساتذة، الذين كانوا يحاولون باستمرار أن يحسّنوا مناصبهم. إلى هذا، توصّلت إلى قناعةٍ بأن معظم مرضاي لم يكونوا مرضى عقليًا، بل مرضى روحياً، وبدا أن مهنتي تساهم في المشكلة. كان العديد من زملائي، في رأيي، يغذّون التعلّق في مرضاهم، إذ أن دخلهم يعتمد على إبقاء الناس راغبين بالعودة إلى "العلاج".

ومع ازدياد شعوري بخيبة الأمل "بمهنتي"، ازداد إحساسي بالذنب، لأن الاستحواذ الطائش على الأشياء قد استنفدني. كان الفراغ الروحي في قلبي يجعلني في أمسِّ الحاجة إلى حياة روحية ذات مغزى، لكن لم تكن لدي أدنى فكرة أين أبحث عن تحقيق ذلك، إلى أن اكتشفت الأرثوذكسية. (أنا الآن أعتبر نفسي أخصائي علم نفس "متعافياً"!) ومع ذلك، أود أن أشارك قرّائي بعضًا من الطب "العلاجي" المهمّ الموجود في الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة.

إن أحد أدوية القلب هو "قانون الصلاة". إن هذا القانون ذو أهمية قصوى، لأنه يساعد في تطوير النظام الذي نحتاجه جميعًا للتقدم روحيًا. إنه إحدى الأدوات العظيمة التي توفرها الطريقة الأرثوذكسية، وقد تم تناقلها، منذ العصور الأولى، من خلال آباء الكنيسة. يأتي "فن الصلاة" من خبرة الكنيسة الأولى.

إلى جانب الحفاظ على قواعد الصوم في الكنيسة، بما في ذلك صوم الأربعاء والجمعة، فإن قاعدة الصلاة التي يعطيك إياها أبوك الروحي، أو أمك الروحية، أو أب اعترافك، هي الدواء الذي سيساعدك على التقدم روحياً في رحلتك إلى الله.

إذا لم يكن لديك بالفعل كتاب صلوات يومية... أود أن أقترح عليك شراء واحد... إن اللغة الشائعة جيدة للتواصل اليومي، لكن اللغة الليتورجية الرسمية، حين يتحدث المرء بها إلى الله، تخلق لديه مساحةً مقدسة يحتفظ بها للرب.

يجب أن تُقال صلاة الصباح والمساء كما لو أن حياة المرء تعتمد عليها، فحياتنا الروحية تعتمد عليها بطريقة عميقة. إن صلواتِ ما قبل المناولة، وكذلك صلوات ما بعد المناولة، إلى جانب الامتناع عن جميع الأطعمة والمشروبات من منتصف الليل قبل تناول الأسرار المقدسة، ليست قانونًا تأمر به

الكنيسة وحسب، بل هي استعدادنا بشكل صحيح لاستقبال جسد ربنا ودمه. إننا في اقتبال جسده ودمه نتلقّى شفاء الجسد والنفس.

إن ممارسة صلاة يسوع طوال اليوم: "أيها الرب يسوع المسيح، ابن الله، ارحمني أنا الخاطئ"، تساعدنا بقوة لنحيا حياتنا ونركّز على المسيح. هناك قوة في اسم يسوع المقدس، وهذه الصلاة تحقق وصية القديس بولس بأن "صلّوا بلا انقطاع". إن صلاة يسوع، المعروفة أيضًا باسم صلاة القلب، تمنحنا القوةَ للسير مع يسوع طوال اليوم حتى أثناء القيادة في زحمة سير كثيفة، أو إزالة الأعشاب الضارة في الحديقة، أو انتظار الحافلة، أو الجلوس في اجتماع طويل.

في النهاية، من المهم أن نتذكّر أن الكنيسة، كما حددها آباء الكنيسة الأوائل، ليست مؤسسة دينية بل هي بالأحرى كائن حي، وهي مستشفى الروح. كهنتها، الذين سبق أن سعوا إلى العلاج، يصيرون هم المعالجين. لذلك، فإن الاستخدام المتواتر "للأدوات" التي أعطاناها المسيح، من خلال كنيسته، لها أهمية قصوى في تقدمنا الروحي. الاعتراف الأسبوعي والمناولة الأسبوعية يمنحاننا القوة الروحية ويمكّناننا من العيش "في العالم" دون أن نكون "من العالم".

أخيرًا، عندما نلتقي كاهنًا يجب أن نطلب البركة متذكرين أنها ليست بركته، بل نعمة الرب يسوع المسيح الذي يشارك الكاهن في كهنوته. إنها لَعادةٌ جيدةٌ وتقيةٌ أن نطلب البركة دائماً عند مخاطبةِ كاهنٍ أو أسقفٍ كتابةً، سواء عن طريق الرسائل أو البريد الإلكتروني. يمكن القيام بذلك، إذا كان أسقفًا، عن طريق كتابة: "يا صاحب السيادة، بارك". إذا كان كاهناً: "أبتاه بارك". مباشرةً قبل التوقيع باسمك: "مقبلاً يمينك، وطالباً صلواتك". مرة أخرى، لا يتعلق الأمر بالأسقف أو الكاهن، بل كل شيء يتعلق بالمسيح الذي نطلب بركته. ينطبق الأمر نفسه على تكريم الأيقونات، إذ عندما نقبّل أيقونة قديس فإننا لا نظهر محبتنا واحترامنا للقديس ونطلب صلاته وحسب، بل نحن نقبّل يسوع المسيح الساكن في قديسيه.

لأن الأرثوذكسية "شمولية" بطبيعتها، يجب ألا يقتصر عيشنا هذا الإيمان على صباح الأحد. إذا كنا عازفي بيانو، ونكسب عيشنا من العزف مع أوركسترا، فلن نرضى أن يمرّ أسبوع بدون تدريب يومي، وإلا فإننا لن نبقى في الأوركسترا لفترة طويلة. وعلى المنوال نفسه، فإن الزواج الذي لا يكون موضع اهتمام يومي، محكوم بالفشل النهائي، لأن العلاقة بين شخصين تتطلب العمل. إذا كنا نترجى علاقة مع الله، وإسكانه في قلوبنا، والتواصل معه، فعلينا أن نتعامل مع حياتنا الروحية على أنها شيء مهم، وشيء نلتزم به. الليتورجيا العَرَضية ليست كافية إذا كنا نرجو أن ننمو في الإيمان والحكمة.

مع المحبة بالمسيح.

* الأب تريفــون راهب أرثوذكســي، نشــأ لوثريــاً في الــتراث الــنرويجي. تــرهّب منــذ مــا يقــرب الثلاثين عامًــا. شارك في تأسيس دير المخلص الكلي الرحمة الذي يرأسه في جزيـرة فاشـون، واشـنطن. يسـمّي نفسه " معـالجٌ نفسـيٌ متعافٍ".

Source: Psychology and Orthodox Christian therapy. By Abbot Tryphon, a recovering psychologist.
http://www.oodegr.com/english/psyxotherap/PsychologyChristianTherapy.htm

العشار الفريسي

الأب أنطوان ملكي

في النص الإنجيلي الذي قرأنا اليـوم وصـف لحـالتين: الفريسـي والعشـار. ليس المقصـود هنـا جماعـات الفريسيين والعشارين والنظرة إليهما في المجتمع اليهودي، بل حالة هـذا الفريسـي وحالـة هـذا العشـار كما في المَثَل. نحن نعـرف أن الفريسـيين كـانوا جماعـة مسـتكبرين على غـيرهم، كمـا يظهـر من صـلاة الفريسي في المثل، كانوا يمننـون الله بـأنهم يصـلّون ويعملـون بعض الأعمـال التقويـة. لكن ليس كلهم. نحن نعرف أن نيقوديموس الذي أنزل الرب عن الصـليب كـان فريسـياً. كـذلك العشـارون، كـانوا جماعـة مهمتهـا جمـع عشـور مـداخيل اليهـود للهيكـل، لكنهم كـانوا يتلاعبـون بحجم العُشـر بمـا يتناسـب مـع مصالحهم، لهذا كانوا مكروهين من اليهود الذين اعتبروهم خطأة. لقد رأينا هذا في قصة زكا حين قـال له يسوع سوف آتي إلى بيتك، فانتقد اليهود أنـه يـدخل بيت خـاطئ. لكن زكـا أيضـاً هـو مثـال على أن ليس كل العشارين خطأة. كما أن العشار في المثَل هو صـورة عن إنسـان يعاملـه الكـل على أنـه خـاطئ لكنه يسعى إلى التوبة.

لهذا، الحديث هو عن حالـة الفريسـي وحالـة العشـار، وهمـا حالتـان كانتـا موجـودتين في زمـان يسـوع المسيح، وما تزالان موجودتَين. حالة الفريسـي هي الأكـثر انتشـاراً، حيث أن كـل النـاس يـرون أن على الله أن يقدّر لهم أنهم يأتون إلى الكنيسـة ويصـومون الأربعـاء والجمعـة ولا يقتلـون ولا يزنـون وغـيره. حالة العشار هي أولئك الأشخاص الذين يسعون بصمت في الزاوية ليكسبوا رضى الله. لكن هناك حالـة ثالثة هي حالة العشار الفريسي، اي الفريسـي الـذي يظن أنـه في حالـة العشـار. هـذه حالـة خطـرة وهي كثيرة الانتشار بين أبناء الكنيسة، من الإكليروس والعلمانيين. هنـاك مطارنـة وكهنـة ومؤمنـون يعملـون في الكنيسة وآخرون دائمو الحضور في الكنيسة وكلهم يعتقدون أنهم يكدّسون التوبة، فيمـا هم فعليـاً في حالة الفريسي. لا يقبلون ملاحظة ولا يحتملون توجيهاً بل هم مرجع ذواتهم.

في الكنيسة أدوية لكل الحالات. الدواء الذي يدخل الإنسان إلى كل العلاجات هو الاعتراف. أما مَن هم في حالة العشار الفريسي فغالباً ما يقولون أنهم يعترفون إلى الله مباشرة. طبعاً الإنسان يعترف إلى الله، وهذا ما يقوله الكاهن في خدمة الاعتراف، لكن هذا يتمّ أمام الكاهن. الإنسان الذي يعترف يُخرِج ما في داخله فيأخذ غفراناً عنه. علم النفس اكتشف هذا الأمر بعد الكنيسة بألفي عام تقريباً. الفرق أن الإنسان يخرِج ما لديه للمعالج النفسي وذاك يبرره ويقول له لا تهتم فهذا يحدث لكل الناس. أما في الاعتراف فالإنسان يخرِج ما عنده ليعطيه الكاهن حلاً من الله. الذين في حالة العشار الفريسي قد يأتون إلى الاعتراف لكن لا سعياً إلى الحل بل إلى التبرير. يأتون ليحصّلوا صكّ براءة من الله. التائب يعترف بخطيئته كما فعل العشار. أما غير التائب فاعترافه سردٌ لتبرير الخطأ الذي أوقعه فيه، إما الشيطان أو أحد آخر، كما قال آدم في الفردوس "المرأة التي جعلتها معي". في اعتراف التائب يتكلّم تواضعه، أما في اعتراف غير التائب فيتكلّم كبرياؤه.

هذا هو إنجيل اليوم الذي وضعته الكنيسة في بداية التريودي، لتقول لنا "توبوا، اعترفوا بخطاياكم، تخلّصوا منها، حتى تدخلوا في رحلة الصوم فتقطعوها وتصلون مبررين إلى نهايتها". نحن بحاجة إلى التمييز حتى لا نكون فريسيين ولا ما هو أسوأ، أي كي لا نكون فريسيين نعتقد أننا العشار. هذا التمييز لا نحصله من دون توبة ولا اعتراف. إلى الرب نطلب.

* عظة في أحد الفريسي والعشار في ١٣ شباط ٢٠٢٢